أفعالُ الحركةِ في مقاماتِ بديعِ الزمانِ الهمذانيِّ
«دراسةٌ عرفانيَّةٌ»

أ. فوز بنت عبيد العصيمي(١)

المستخلصُ: تهدفُ هذه الدِّراسة إلىٰ إعادة قراءة النُّصوص التراثيَّة العربيَّة، بتطبيق النظريَّات الحديثة عليها. اهتممت بدراسة أفعال الحركة عرفانيًّا، والبحث عن دلالاتها علىٰ الفضاءات المكانيَّةِ والزمانيَّةِ (الجهات والمدىٰ)، وذلك من خلال تصور بديع الزمان الهمذانيِّ للحركة وطرق توظيفها في المقامات. فهو يستعملُ الفعل علىٰ الحقيقة، أو يخرجهُ من المعنىٰ الوضعيِّ إلىٰ المعنىٰ النَّقليِّ المجازيِّ حسب اختلاف السياقات الوارد فيها، ممَّا أكسب الأفعال حركيَّة مكثفة ومتعددة الدَّلالات وضعيَّة ونقليَّة، وهو ما دفع بي إلىٰ اختيار هذه المدونة الثرية بأفعال الحركة دون غيرها. ونظرًا إلىٰ طبيعة المقاربة التي اخترتُها فإنَّ الدراسة ستشمل المجال الدِّلاليِّ والعرفانيِّ.

الكلماتُ المفتاحيَّة: الحركة – الفضاء – العرفانيَّة – الاستعارة – الذهن.

***

(١) ماجستير لسانيات (نحو ولغة)، محاضرة متعاونة في جامعة سطام بن عبد العزيز.
البريد الإلكتروني: fouzobeid@yahoo.com

المقدمةُ

تقوم اللسانياتُ العرفانيَّةُ علىٰ التمثيلات الذِّهنيَّة باعتبارها نشاطًا يعالجهُ الذِّهن، وهي تتوجه نحو التحليل الدِّلاليِّ كردِّ فعل علىٰ التوليديَّة التي همَّشت في بداياتها دراسة الدِّلالة؛ ومن أبرز أعلامها فيلمور ولايكوف، ولانغكير، وتالمي. ولعل مالفت نظري إلىٰ البحث في اللسانيات العرفانيَّةِ وجعلني أختارها منهج عمل في البحث، أنَّها تتفاعل مع المعنىٰ وهو داخل اللغة والواقع الخارجيِّ وهو خارج اللغة، أي الكون، ومع تجربتنا مع أجسادنا، وتجربتنا مع محيطنا الذي نتحرك فيه، فتحلَّل هذه التجارب الحياتيَّة باللغة المحض كوسيط أساسيٍّ للتعبير عن الحركة وطرق تنقلها، إلىٰ جانب وسائط أخرىٰ كالفضاءات الخارجيَّة، والوسائط الماديَّة المساعدة علىٰ الحركة. ولأنَّ أفعال الحركة قد تخرج في حالات عديدة عن استعمالها الوضعيِّ إلىٰ استعمال نقليٍّ مبرر بالعقل، فإنَّ المجاز أصبح مرتبطًا بالنظام الذهنيِّ الإدراكيِّ الذي أُصطلح عليه في اللسانيات العرفانيَّة «بالاستعارة التَّصوريَّة»[1] التي يستعير فيها المتكلم تجربتهِ مع عنصرٍ من عناصر الطبيعة، لفهم تجربتهِ مع واقع اجتماعيٍّ آخر.

وتهدفُ هذه الدِّراسة إلىٰ إعادة قراءة التراث العربيِّ القديم وذلك لتطبيق النظريَّات الحديثة علىٰ النُّصوص القديمة، وقد اخترتُ اللسانيات العرفانيَّة مجالًا للتطبيق لتوظيفها اللغة كوسيلة للتعبير عمَّا هو خارج اللغة. فدراسة أفعال الحركة دراسةً عرفانيَّةً تستوجبُ البحث عن دلالة

(١) تعتبر نظرية الاستعارة التَّصوريَّة الاستعارة آلية عرفانيَّة بها ندرك ذواتنا ونتمثل العالم من حولنا، وهنا يمكن للاستعارة أن تخلق العالم بخلقها لمشابهات جديدة، ويمكنها إعادة تشكيل تصوراتنا وأفكارنا ورؤيتنا للأشياء من حولنا، لذلك لاتقوم «نظريَّة الاستعارة التصوريَّة» علىٰ علاقة المشابهة كما شاع في الدرس البلاغيِّ التقليديِّ. الاستعارات التصوريَّة وتحليل الخطاب السياسيِّ، البوعمراني، محمد الصالح، (ص١٤ - ١٥).

الفضاءات المكانيَّة والزمانيَّة. وسأحاول تطبيق بعض مقاربات المنهج العرفانيِّ على «مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ» لصاحبها بديع الزمان الهمذانيِّ (ت٣٩٨هـ). وسأتتبعُ تصوّرَ صاحب المقامات للحركة عبر المكان والزمان كفضاءين ذهنيين متحدين، واستعمالهُ لهما استعمالًا وضعيًّا عن طريق وسائط من أهمها جسد الإنسان، أو استعمالًا نقليًّا تعبر عنه مجموعة من الصور والاستعارات، فيرِد الفعلُ تارةً على الحقيقة، وطورًا يخرج عن معناهُ القاعديِّ إلى معنىً عقليٍّ جديد عن طريق المجاز، ممَّا أكسب المدونة حركيَّةً وحيويَّةً ونشاطًا. وهذا التفنن والإبداع من صاحب المقامات شجعني على دراسة أفعال الحركة وتطبيقها على المدونة النثرية المختارة.

وتُعدُّ مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ جنسًا أدبيًّا تضمن ضروبًا من الثقافات والفنون. كنقل أخبار الشعراء، والاهتمام بتاريخ نقد الأدب، والمساجلات المذهبيَّة، وبالفكاهة والحيلة، وبوصف أصناف من الأطعمة. فجاءت مقاماته حافلةً برصيد معجميٍّ ثري ولدته مجالس الأُنس والأدب، وغذَّاهُ الواقع الاجتماعيُّ لذلك العصر.

وقد درستُ السياقات التي وردت فيها هذه الأفعال، ووقفتُ عندها لتبيَّن مختلف معانيها الوضعيَّة والنقليَّة، وطرق توظيف اللغة للتَّعبير عن مختلف الفضاءات والدَّلالات، مستعينةً بالتحليل اللغويِّ الموجز لأفعال الحركة تحليلاً صوتيًّا، صرفيًّا، معجميًّا.

وتدورُ الدراسة إذن في مجالين لغويين أهمهما: المجال المعجميِّ، والمجال الدِّلالي السياقيِّ. ونظرًا إلى طبيعة المقاربة العرفانيَّة التي توظف مستويات لغويَّة متعددة، فإنَّني قسمَّتُ العمل إلى ثلاثة فصول: حددت في الفصل الأول المفهومين الأساسيين اللذين يقوم عليهما البحث، وهما مفهوم الحركة ومفهوم المقاربة العرفانيَّة؛ فعرفت مفهوم الحركة كما ورد في القواميس العربيَّة القديمة، واكتفيت بعد الاطلاع على عدد منها باعتماد قاموس العين للخليل بن أحمد الفراهيديِّ، لأنَّ قواميس الألفاظ التراثيَّة التي جاءت بعده تكرر ما ذكره الخليل في مادة

(ح. ر.ك)، ولاتختلف عنه إلَّا بزيادة بعض الأمثلة، أو إضافة بعض المشتقات.

وارتأيت أن أنظر في ما جاء في قواميس اللغة حول الحركة، فعدت إلىٰ تعريفات الشريف الجرجانيِّ (ت٤٧١هـ)، ولاحظت أنَّه قد توسَّع في ضرب الأمثلة، وبيان الأنواع المختلفة للحركة، واستعمل الذِّهن في شرح استعمالات الحركة ألف سنة قبل ظهور اللسانيات العرفانيَّة، وهو ما أبهرني وقوَّىٰ إيماني بأنَّ اللسانيات الحديثة لايمكن استثمارها إلَّا إذا تشبع الباحث بتراثه وانطلق من جذوره!

أمَّا ابن سيده (ت٤٥٨هـ) فقد اهتم بالأسماء الدَّالة علىٰ الحركة وجمعها تحت عنوان «التحرك والتردد»، فذكر فيها الأسماء الرباعيَّة التي هي من محاكاة عناصر الطبيعة، كتحشحش، وتلتل...إلخ.

وكانت الإضافة الثالثة لدَّلالة الحركة من قاموس حديث، هو معجم اللغة العربيَّة المعاصرة لأحمد مختار عمر (ت١٤٢٤هـ)، الذي رصد فيه جميع الدِّلالات الجديدة لمعنىٰ الحركة، وجميع المشتقات المتولدة عن أفعال الحركة، كحَارك، وحِرَاك، ومِحْرَاك، مع ذكر الدِّلالات الحديثة الخاصة بالآلات والتقنيات، كالمحرك النفاث التضاغطيِّ، والمحرك البخاريِّ، والديزل...إلخ.

وخصصتُ الفصل الثاني لدراسة العلاقات الدِّلالية بمقاربةٍ عرفانيَّة، مع ذكر التَّطور في معنىٰ الاستعارة منذ أن عرَّفها أرسطو إلىٰ أن توسعت في إطار المقاربة العرفانيَّة، فاخترتُ منها الاستعارات الاتجاهيَّة الفضائيَّة عند لايكوف وجونسون، التي تحمل معاني متقابلة تدلُّ عليها مجموعة من الثنائيات منها: (فوق/ تحت)؛ (أمام/ وراء)؛ (داخل/ خارج)؛ (عميق/ سطحي). ونظرًا إلىٰ ثراء المدونة بأفعال الحركة في دلالتها الحقيقيَّة والمجازيَّة، فقد تم رصد الاستعارات الدَّالة علىٰ الاتجاهات الفضائيَّة. ولأنَّ الاستعارة شغلت المفكرين، والنُّقاد، والفلاسفة، والبلاغيين، علىٰ مر العصور، فقد بقيت مجالًا خصبًا للدِّراسة، ففي محاولةٍ لقراءة كتب علمائنا

القدماء لإبراز جهودهم في التراث العربيِّ القديم من منظور حديث. نجد أنَّ الاستعارة تقوم بدورٍ هامٍّ في حياتنا، وتحتل جزءًا من حديثنا اليوميِّ العادي، وجزءًا من نسقنا التَّصوريِّ الخياليِّ.

وفي الفصل الثالث حاولتُ معالجة الأمثلة وتحليلها في إطار النظريَّة العرفانيَّة التي ترصد التفاعل مع الجسد والبيئة والعالم الخارجيِّ والاستعارات التَّصوريَّة. وقد رصدت مسببات الحركة، التي تنوعت بدورها في الأمثلة، منها: أعضاء جسم الإنسان(اليد، الأرجل، الفم، العين، اللسان)، وفعل الطبيعة والحيوانات والجمادات.

كما أنَّني حاولتُ إجراء مقارنة بين أفعال الحركة في مدونة البحث، ومدونة حديثة لمحمد داود[1]، لرصد الهجر والشيوع في أفعال الحركة، وبعد إجراء المقارنة وجدت أنَّ جميع الأفعال الدَّالة علىٰ الحركة في المقامات في عصر الهمذانيِّ لم يمسها الهجر بل ظلت مستعمله إلىٰ يومنا. فأفعال الحركة التي تدلُّ علىٰ كيفية تحركنا في الزمن والفضاء أساسية في حياتنا، وفي اللغة.

أهميةُ الموضوعِ:

١ – جِدَّة الموضوع لعدم وجود دراسة تطبيقيَّة علىٰ أفعال الحركة عرفانيًّا.

٢ – الجمع بين حداثة المناهج اللسانيَّة وأصالة التراث العربيِّ.

٣– دراسة اللغة العربيَّة بتطبيق مناهج لسانيَّة حديثة، دون إسقاط أوتغريب.

٤ – تسليط الضوء علىٰ الهجر والشيوع في أفعال الحركة بين مدونتي «العربيَّة المعاصرة» لمحمد داود، و«المقامات» لبديع الزمان الهمذانيِّ.

---

(١) رسالة دكتوراة أخرجها في كتاب بعنوان: (الدِّلالة والحركة: دراسة لأفعال الحركة في العربيَّة المعاصرة في إطار المناهج الحديثة) لمحمد داود، فيها أفعال الحركة في العربيَّة المعاصرة، ويقصد بالعربيَّة المعاصرة الصحف والمجلات، وبعض كتابات المعاصرين، كفاروق شوشة، وفاروق جويدة، وغيرهم.

أسبابُ اختيارِ الموضوعِ:

١ – ندرةُ توفرِ دراسات تطبيقيَّة حول موضوع أفعال الحركة بمقاربة عرفانيَّة.

٢ – شحُّ الدِّراسات العربيَّة في مجال الدِّلالة العرفانيَّة.

٣– إعادةُ قراءة التراث في ضوء النظريات الحديثة.

أهدافُ البحثِ:

١ – المساهمة في إثراء المكتبة العربيَّة بدراسة أفعال الحركة دراسة تطبق منهجًا لسانيًّا حديثًا.

٢ – توضيح العلاقة بين فعل الحركة والكون (الفضاء الخارجيِّ).

٣– تصنيف الأفعال بتطبيق المنهج العرفانيِّ في ضوء دراسة الفضاءين الزمانيِّ والمكانيِّ.

حدودُ البحثِ:

١ – إحصاء أفعال الحركة في مدونة بديع الزمان الهمذانيِّ.

٢ – تصنيف الأفعال التي جُمعت من المدونة في ضوء المنهج العرفانيِّ.

إشكاليةُ البحثِ:

يسعىٰ هذا البحث إلىٰ دراسة بعض أفعال الحركة في العربيَّة دراسة عرفانيَّة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١ – كيف ينتقل الفعل في الفضاء الخارجيِّ الزمانيِّ المكانيِّ؟ ما مسبباته ووسائل تحققه؟

٢ – ما جهة اتجاه الحركة، هل تتجه نحو الأسفل أو نحو الأعلىٰ؟ أو في اتجاه آخر؟

٣– هل المكان يستوجب ظروفًا محددة؟

٤ – هل تخضع أفعال الحركة إلىٰ تراتبيَّة دلاليَّة؟

الدِّراساتُ السابقةُ:

لم أقف علىٰ دراساتٍ سابقةٍ – علىٰ حدِّ علمي – عالجت دلالة أفعال الحركة بمقاربة عرفانيَّة. لكن توجد بعض الدراسات الدِّلالية عن الحركة، غير أنَّها لم تعتمد المنهج العرفانيِّ وهي:

١ – الدِّلالة والحركة: دراسة لأفعال الحركة في العربيَّة المعاصرة في إطار المناهج الحديثة. د. محمد محمد داود. دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٢م.

تناول الدكتور محمد داود أفعال الحركة من جانب دلاليٍّ إحصائيٍّ وصفيٍّ، معتمدًا علىٰ العربيَّة المعاصرة مادة لدراسته، بينما أعالج الموضوع من زاوية مختلفة، فقد اخترت مدونة تراثيَّةٍ حللت فيها أفعال الحركة بمقاربة لسانيَّةٍ عرفانيَّةٍ.

٢ – أفعال الحركة الانتقاليَّة الكليَّة للإنسان في القرآن الكريم: دراسة دلاليَّة إحصائيَّة. عماد عبد الرحمن خليل شلبي.(أطروحة استكمال المتطلبات للحصول علىٰ درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدِّراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين).

اقتصر الباحث في دراسته علىٰ أفعال الحركة الانتقاليَّة دون سواها، ودرسها دراسة دلاليَّة إحصائيَّة باعتماد الحقول الدِّلاليَّة، فلم يختلف عن المنهج الذي طبقه محمد داود إلَّا في المدونة الدينيَّة.

٣– دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد. أحمد بريسول. دارالكتاب الجديد المتحدة. ط١، ٢٠١٣ م. بيروت.

اكتفىٰ الباحث في هذا البحث بالتطبيق علىٰ مدونة عربيَّةٍ موحدةٍ، وكانت جلُّ الأمثلةِ مترجمةً عن الإنجليزية؛ كما أنَّ الباحث قد وظَّفَ في دراسته المقاربة التوليديَّة، وهي مختلفة عن منهج دراستنا لأفعال الحركة.

منهجُ البحثِ:

سأتبعُ في دراسة أفعال الحركة المنهجَ الاستقرائيَّ الوصفيَّ ذا الطابعِ التحليليِّ، مطبقةً المقارنة العرفانيَّة علىٰ مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ، ومتبعةً تحرك أفعال المدونة في الفضاءات المكانيَّة والزمانيَّة، ومحللةً الوسائط اللغويَّة التي تتحقق بها. أمَّا الصعوبات التي اعترضتني فهي: قلة وجود دراسات عربيَّة حول أفعال الحركة بمقاربة عرفانيَّة، قلة الترجمات بالعربيَّة لأمهات

الكتب حول اللسانيات العرفانيَّة.

خِطَّةُ البحثِ:

وتتألف من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

- **المقدمةُ:** وتتضمنُ تقديم الموضوع وتلخيص موجز لأجزاء العمل، أهميته، أسباب اختياره، أهدافه، حدوده، إشكالياته، الدِّراسات السابقة، المنهج المتبع في دراسته، ومن ثم الصعوبات التي اعترضت الباحثة.
- **الفصل الأول: ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم، وفيه مبحثان:**
  - **المبحث الأول:** مفهوم الحركة لغة واصطلاحًا.
  - **المبحث الثاني:** تعريف اللسانيات العرفانيَّة.
- **الفصل الثاني: العلاقات الدِّلاليَّة والعرفانيَّة، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول:** الاستعارة في الفكر القديم.
  - **المبحث الثاني:** الاستعارة في الفكر البلاغيِّ العربيِّ القديم.
  - **المبحث الثالث:** الاستعارة في إطار العلوم العرفانيَّة.
- **الفصل الثالث: تطبيقات علىٰ أفعال الحركة، وفيه ثلاثة مباحث:**
  - **المبحث الأول:** تطبيق علىٰ أفعال الحركة.
  - **المبحث الثاني:** وسائل تحقيق الحركة «الجوارح، الجسد، الحيوان، عناصر الطبيعة، الجمادات».
  - **المبحث الثالث:** الهجر والشيوع في أفعال الحركة بين مدونتي «العربيَّة المعاصرة» و«المقامات».
- **الخاتمةُ:** وتتضمن استخلاص النتائج، فتح الآفاق.

***

الفصل الأول
ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الحركة لغةً واصطلاحًا

١. مادة (ح.ر.ك) في القواميس.

لم تأتِ القواميس الحديثة بالجديد، فلم تتطور دلالة الحركة عما ذكرته سابقاتها، مثل: (المعجم الوسيط)، قاموس مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، و(المعجم العربيِّ الأساسيِّ)، قاموس المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم، فهما رغم حداثتهما لم يأتيا بالجديد، رغم إفادتهما من القواميس التراثيَّة وجعلها منهجًا للتأليف لذلك حافظت علىٰ نفس مداخل أهم القواميس التراثيَّة وهو كتاب العين. وتجنبًا للتكرار، اكتفيتُ بذكر الدِّلالات الجديدة التي أضافتها بعض القواميس.

وسأعرض مادة (ح.ر.ك) في كتاب (العين) أولًا. ونظرًا إلىٰ غزارة المادة وتكرار الخلف للسلف، سأكتفي بتقديم ما رأيته إضافات في قاموس (التعريفات للجرجانيِّ) للشريف الجرجانيِّ (ت٨١٦هـ)، وفي (المخصص) لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، وهو أول قواميس الموضوعات بعد الرسائل والكتب المصنفة في غريب القرآن وغريب الحديث، وفي (معجم اللغة العربيَّة المعاصرة) لأحمد مختار عمر (ت١٤٢٤ه).

٢. قاموس العين للخليل بن أحمدالفراهيديِّ (ت١٧٠هـ) (ح ر ك) (ح ك ر) (ر ك ح) مستعملات.

• حَرَكَ: حَرَكَ الشيء يحرُكُ حَرْكا وحركةً وكذلك يَتَحَرَّك. تقول: حَرَكْتُ بالسيف مَحْرَكَه حَرْكًا أي ضَرَبْتُه. والمَحْرَكُ: مُنتَهىٰ العُنُق وعند مفصل الرأس. والحارِكُ: أعلىٰ الكاهل[1].

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، (ص١٥٢).

يلاحظ من عرض الخليل لجميع المشتقات المتولدة عن الجذر (ح.ر.ك)، أنَّه اكتفىٰ من تقلياته الستة بثلاث مستعملة، واستغنىٰ عن المهملات. فذكر المستعمل بالفعل من التقليبات وهي (ح.ر.ك)، (ح.ك.ر)، (ر.ك.ح)، ومابقي من التقليبات فهو مهمل وغير مستعمل، اصطلح عليه بالمستعمل بالقوة، لذلك لم يذكره. وسأهتم بالجذر الرئيس المستعمل الدَّال علىٰ الحركة (ح.ر.ك) دون الجذور المتقلبة.

اقتصر كتاب العين علىٰ المعنىٰ الوضعيِّ للمدخل، ولم يتطرق إلىٰ الدِّلالات المجازيَّة للحركة، علىٰ عكس ماسار عليه الزمخشريُّ (ت ٥٣٨هـ) في قاموسه «أساس البلاغة»، حيث بادر بالفصل بين الاستعمالين اللغويين للمدخل الواحد: الحقيقة والمجاز. وربَّما يعود ذلك إلىٰ أنَّ كتاب العين كان هدفه كأولِ قاموسٍ عربيٍّ تقديم الحقيقة علىٰ المجاز، والاهتمام بالاستعمال دون الخوض في السياقات المجازيَّة. فالتمييز في المدخل الواحد بين المعنىٰ الوضعيِّ والمعنىٰ المجازيِّ ظهر متأخرًا في القواميس العربية؛ ربَّما لأنَّ جمع اللغة في بدايته قد ركز علىٰ الألفاظ الوضعيَّة، وهذا يفسر سبب احتواء كتاب العين علىٰ مثال واحد معبر عن الوسيلة التي تحققت بها الحركة، وهو «السيف»، باعتباره آلة الحرب الهامة المستعملة في عصر الخليل.

٣. قاموسُ التعريفاتِ للجرجانيِّ (ت ٨١٦هـ).

• الحركة: الخروج من القوة إلىٰ الفعل علىٰ سبيل التدريج، قيَّدَ بالتدريج ليخرج الكون عن الحركة، وقيل: هي شغلُ حيزٍ بعد أن كان في حيزٍ آخر، وقيل(*): **الحركة كونان في آنين في مكانين، كما أنَّ السكون: كونان في آنين في مكان واحد**[1].

(*) تمت الكتابة بخط غليظ، وكذلك التسطير قصد التركيز علىٰ توالف المكان بالزمان كفضاءين قارين لتحقيق الحركة.

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجانيّ، (باب الحاء)، (ص٨٩-٩٠).

ولا تتحقق الحركة بدون الانتقال من مرحلة الوجود بالقوة إلىٰ مرحلة الوجود بالفعل، أي: مرحلة الإنجاز، ولا تنجز خارج حيزي المكان والزمان. ويقدم الجرجانيُّ مفهومًا جديدًا للحركة ربطها بالمكان (الحيز) والزمان(الآن). فالحركة تنتقل من حيز إلىٰ حيز آخر، أي إنَّ الانتقال يتم من وضع السكون الصامت إلىٰ وضع الحركة ويتحقق باختراق الحيزين: الزمان والمكان اللذين يقابلهما في اللسانيات العرفانيَّة مصطلح الفضاءات المكانيَّة والزمانيَّة.

ويقسمُ الجرجانيُّ الحركةَ تقسيماتٍ دقيقةٍ هي أقربُ إلىٰ التقسيمات العلميَّة الفيزيائيَّة، جاءت علىٰ النحو التالي: الحركة في الكم: «هي انتقال الجسم من كمية إلىٰ أخرىٰ، كالنمو والذبول، حيث يكون في الحركة امتداد وانكماش»[1]، كنمو النباتات الذي يتم باستطالة نحو الأعلىٰ، وتمددٍ عرضيٍ كما في أشجار الصنوبر...إلخ، ويكون بشكل عكسيٍّ حينما تذبل النباتات فهي تتقلص وتنكمش ويصغر حجمها إلىٰ أن تتلاشىٰ.

ويلحظ أنَّ الجرجانيَّ لا يكتفي في تعريفه للحركة بالتعريفِ اللغويِّ الخالصِ الذي تُعرَّف به ألفاظ اللغة العامة، بل إنَّه يوظف التعريف المنطقيَّ الخاص بالعلوم، فيحددُ الحجم (يصغر)، (كمية)، ويذكر ظواهر فيزيائيَّة وأخرىٰ طبيعيَّة في شكل ثنائيات متضادة: (نمو/ ذبول)، (استطالة/ انكماش)، (امتداد/ تقلُّص)، (الأعلىٰ/ عرْضي)، فضلًا عن أنَّه يستعمل مفهوم الجسم تعبيرًا عن الحامل والمحمول، ومفهوم الاتجاه (الأعلىٰ)، (العرض).

الحركة في الكيف: صنَّفها صاحب التعريفات إلىٰ صنفين: (أ): «هي انتقال الجسم من كيفيَّة إلىٰ أخرىٰ، كتسخن الماء وتبرده. وتُسمَّىٰ هذه الحركة: استحالة»[2]. وقد سمىٰ الجرجانيُّ انتقال المادة من حالة إلىٰ حالة أخرىٰ (الحركة في الكيف)، أي الانتقال من الحالة الساخنة إلىٰ

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجانيّ، (باب الحاء)، (ص٨٩-٩٠).

(٢) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص٩٠).

الباردة، أو العكس. وأدرج التَّغير في حالة المواد في حيز الحركة، فهي حركة كيميائيَّة.

(ب): «هي الكيفيَّة الحاصلة للمتحرك، مادام متوسطًا بين المبتدأ والمنتهىٰ، وهو أمر موجود في الخارج»[1].

فالوضعيَّة التي يكون عليها الكيان المتحرك مابين نقطة بداية الحركة، والتوقف عن الحركة، أطلق عليها الجرجانيُّ الحركة في الكيف، مثل صفارة الإنذار فهي تتحرك بشكل سريع بطريقة معينة مصدرة صوتًا «عاليًا» لمدة معينة تنتهي بانتهاء دقائق الإنذار.

الحركة في الأين: «هي حركة الجسم من مكان إلىٰ مكان آخر، وتسمىٰ نقلة»[2].

تستعمل (أين) للسؤال عن المكان، فحيز المكان في هذا النوع من الحركة، يفسر انتقال الجسم من مكان «س» إلىٰ مكان «ص»، وأطلق عليها الجرجانيُّ مسمىٰ آخر(النقلة)، كالانتقال من المكان «س» إلىٰ المكان «ص».

الحركة في الوضع: صنفها إلىٰ صنفين:

(أ): «هي الحركة المستديرة، المنتقل بهاالجسم من وضع إلىٰ آخر، فالمتحرك علىٰ الاستدارة إنَّما تتبدل نسبة أجزائه إلىٰ أجزاءمكانه، ملازمًا لمكان غير خارج عنه قطعًا، كمافي حجر الرحىٰ»[3].

الحركة المستديرة عنده هي انتقال الجسم، ودورانه في حيز واحد وفي فضاء واحد، مثل حركة عجلات السيارة.

(ب): «التي لها هوية اتصاليَّة علىٰ الزمان لا يتصور حصولها إلَّا في الزمان. أي أنَّ التحرك

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجانيّ، (باب الحاء)، (ص٩٠).

(٢) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص ٩٠).

(٣) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص٩٠).

يتطلب زمنًا محددًا للانتقال من مكان إلىٰ آخر»[1]. إنَّ حركة الجسم تتم حسب الانتقال الماديِّ من موضع إلىٰ آخر وهو المكان، وحسب زمن يستمر خلاله الجسم في التحرك، مثال: الذهاب إلىٰ المسجد، فإنَّ الانتقال يتطلب زمنًا معينًا يطول أو يقصر للوصول إلىٰ المسجد.

الحركةالقَسْرية: «مايكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من خارج، كالحجر المرمي إلىٰ فوق»[2].

فهي: حركة اتجاهيَّة من أسفل إلىٰ أعلىٰ، وكرمي الكرة إلىٰ أعلىٰ.

الحركة الإراديَّة: «مالايكون مبدؤها بسبب أمر خارج، مقارنًا بشعور وإرادة، كالحركة الصادرة من الحيوان بإرادته»[3]. فمسبب الحركة هو الإرادة، وليس عنصرًا خارجيًّا كالدفع أو الرفع، بل يكون نابعًا من الإرادة كالمشي أو الركض أو الهرولة.

الحركة الطبيعيَّة: «مالايحصل بسبب أمرٍخارجٍ، ولايكون مع شعور وإرادة، كحركة سقوط الحجر إلىٰ أسفل»[4]. أي إنَّها حركة تحدث في الكون الخارجي، بمسبب طبيعيٍّ في اتجاه سفليٍّ. مثال: سقوط الحجر من أعلىٰ الجبل إلىٰ أسفله.

الحركة بمعنىٰ التوسط: «هي أن يكون الجسم واصلًا إلىٰ حدٍّ من حدود المسافة في كلِّ آن لا يكون ذلك الجسم واصلًا إلىٰ ذلك الحدِّ قبل ذلك الآن وبعده»[5]. بمعنىٰ انتهاء الحركة عند نقطة معينة، وانتقال الجسم من نقطة ما، مرورًا في الفضاء الخارجيِّ بالمكان والزمان، والتوقف عند نقطة محددة.

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجانيّ، (باب الحاء)، (ص٩٠).

(٢) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص٩٠).

(٣) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص٩٠).

(٤) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص٩٠).

(٥) المرجع السابق، (باب الحاء)، (ص٩٠).

الحركة بمعنىٰ القطع: «إنَّما تحصل عند وجود الجسم المتحرك إلىٰ المنتهىٰ؛ لأنَّها هي الأمر الممتدُّ من أول المسافة إلىٰ آخرها»(١)، كالحركة البطيئة للمروحة الكهربائيَّة بعد انقطاع التيار الكهربائيِّ.

اتضح لي ممَّا سبق أنَّ الجرجانيَّ يقسمُ الحركةَ إلىٰ أصنافٍ، ويتطرقُ إليها من الجانب الفيزيائيِّ والفضائيِّ، فيعرِّفها بأنَّها: «شغلُ حيزٍ بعد أن كان في حيزٍ آخر»(٢)، أي الانتقال من مكانٍ إلىٰ مكانٍ آخر، وهذه إضافة لما ورد في كتاب العين للخليل، فالخليل ذكر الوسائل التي تتم بها الحركة ومعنىٰ الحركة دون توسع في الفضاءات والأصناف، في حين أنَّ الجرجانيَّ استعمل الذهن في تفسير العبارة اللغويَّة مع توسع في ضرب الأمثلة، وبيان الأنواع المختلفة للحركة.

٤. المخصصُ لابن سيده (ت٤٥٨ هـ).

• (التحرك والتردد): **تحشحش** القوم - تحركوا. وقيل له **كَصيص وأصيص وبَصيص** - أي تحرَّكٌ والتواءٌ من الجَهد. وقيل: **نجنَجت** الرجل - أي: حرَّكتهُ، وقد تقدَّم أنَّه كففْتهُ، و**التَّحلْحُل** - التَّحرُّك والذَّهاب وحلحَلت القوم - أزلتُهم عن أماكنهم. ابن دريد: **البَكْبَكَة** - الجيئة والذَّهاب، و**نغَضَ** ينغِض نغْضًا ومنه نغضَت ثنيَّتهُ - تحركت. أبو حاتم: نغض الشيء ينغض نغضًا - تحرَّك واضطرب. صاحب العين: **ناص** - تحرك ونصت للحركة نوصًا ومناصًا - تهيأت.

أبو عبيد: **التَّضوَّر والتَّملْمُل والتَّمذَّل** كلُّه - التَّقلب ظهرًا لبطن. ابن السكيت: **ضاعَهُ ضوْعًا** - حرَّكهُ. ومنه تضوَّع المسك - أي تحرَّك وانتشرت رائحتهُ. ابن دريد: **الأزّ** - الحركة الشديدة. وقال: **أشَّ القومُ** يؤشون أشًا وتأششوا - قام بعضهم إلىٰ بعض وتحركوا - قام بعضهم إلىٰ بعض وتحركوا للشَّرِ لا للخيرِ. و**التَّحْتَحة** - الحركة وما يتتحْتح من مكانهِ - أي يتحرك. أبو زيد: **نتقتْ**

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجانيّ، (باب الحاء)، (ص٩٠).

(٢) المرجع السابق، (ص٨٩).

الدَّابةُ راكبَها – إذا حركتهُ وأتعبتهُ. ابن دريد: **التَّرتَرة** – الحركة الشديدة، صاحب العين: **التَّلتَلة** – الحركة والإقلاق. ابن دريد: **التَّعتَعة** – الحركة العنيفة **والحثحثة** – الحركة المتداركة. وقال: **سغْسغْتَ الشيءَ** حركتهُ من موضعه مثل الوتد. **والوشوشة** – التَّحرُّك وكذلك **الهشهشة**، و**البعص** – الاضطراب تبعص وتبعرص. و**الخشخشة والنشنشة والحصْحصة** – الحركة في الشيء حتىٰ يستقر ويتمكن ويثبت. أبو زيد: **زحَن** عن مكانهِ يزحن زحنًا – تحرك وزحنتهُ أنا.

ابن السكيت: **ملت** الشيءَ أملتُهُ ملتًا ومتَلْتُه – حركتهُ وزعزتهُ عنهُ كذلك. أبو عبيد: **هدهدْتُهُ** – حركتهُ كما يهدهد الصبي في المهد. ابن دريد: **زُحْت** الشيء زوحًا وأزحتهُ عن موضعهِ، و**التَّخمُّش** – كثر دخول الشيء بعضه في بعض الربا ونحوه. صاحب العين: **النَّغْش** والانتغاش والنَّغَشان – تحرَّك الشيء في مكانهِ (الدار تنتغش بأهلها).

ابن دريد: **ترمَّز** القوم – تحركوا في مجالسهم لقيام أو خصومة. ورجل رَمِيز – كثير الحركة. وقال: **شُصْت** الشيء شَوْصًا – إذا **نَضْنَضْتَهُ** بيدك أو زعزعتهُ من موضعهِ، وقال: **لِصت** الشيء ليصًا وألصتهُ – إذا حرَّكتهُ أو أزحتهُ من موضعهِ لتنتزعهُ. وقال: **تنمَّلَ** القومُ – تحرَّكوا ودخل بعضهم في بعض وجارية مُنَمْلة – كثيرة الحركة في المجئ والذَّهاب. ابن السكيت: **هِدْت** الشيء هيدًا – حركتهُ. أبو عبيد الرَّهْو – الكثير الحركة في تتابع. ابن دريد: راه الشيء رَوهًا – اضطرب، وقال تخمَّشَ القومُ – كثرت حركتهم.

صاحب العين: **الرَّج** – التَّحريك رجحتهُ أرجهُ رجًا فرج وارتج، الاضطراب. ابن دريد: **الهرمزة** – الحركة الشديدة. صاحب العين: **الزّلزَلة والزلزال** – تحريك الشيء، **حال** الشخص يحول – تحرَّك. **الحصْحَصة** – الحركة في الشيء حتىٰ يستقر فيهِ ويستمكن منهُ. **نعصْتُ الشيءَ** – حرَّكتهُ[1].

(١) المخصص، أبو الحسن ابن سيده، (٣/ ١٠٦-١٠٧).

ذكر ابن سيده بعضَ الألفاظِ الرباعيَّةِ التي تعطي معنىٰ الحركة وهي في الأصل محاكاة لعناصر الطبيعة وتتميز بصفة التَّكرار كالخشخشة وهي صوت الأوراق اليابسة، أو الأفعال التي تُحدث عند وقوعها أصواتًا معينة مثل: كركر عند السحب ثم تطورت دلالتها. ومن ثم اُستجدت ألفاظ وتطورت ألفاظ. يقول ابن جني: «وذهب بعضهم إلىٰ أنَّ أصلَ اللغاتِ كلَّها إنَّما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج بعض الأحمرة ونعيق الغراب، وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك»(١).

علىٰ هذا النحو قسَّمَ ابن سيده الألفاظَ الدَّالةَ علىٰ الحركة إلىٰ مجموعات منها ماهو خاص بالإنسان، كأش القوم، والهدهدة والتَّضور والتَّململ، ومنها ماهو متعلق بالأشياء، كتضوع المسك...إلخ، فكان له تقسيم بحسب نوع الحركة وقوتها، فضرب أمثلة للحركة العنيفة، ومنها: التَّعتعة والتَّرترة، وللحركة المضطربة، منها: التَّلتلة، والإقلاق...إلخ.

نوضح التَّقسيمات الدَّقيقة للحركة عند ابن سيده:

الحركة العنيفة= تعتعة +ترترة +أز +هرمزة/ الحركة من موضع إلىٰ موضع= سغسغة +حلحل +خشخشة +نشنشة +حصحصة / الحركة في نفس الموضع= نغش / الحركة والالتواء= كصيص +أصيص +بصيص/ الحركة المتداركة= حثحثة/ الحركة للشر= أش/ الحركة المضطربة المتقلبة = بعص +تلتلة +نضنض +لصت +رج +شصت +تضوَّر +تململ +تمذَّل/ الحركة ثم الاتباع = نتق +رهو/ الحركة والذَّهاب= تحلحل +بكبكة/ الحركة مطلقًا= هشهشة +وشوشة +نجنجة +حشحشة +تحتة +زحن +ملت +ناص +هدهدتهُ +نغص +زحت +حال +ترمز +هدت +زلزلة +نعص +ضاعهُ/ الحركة المتداخلة = تخمش +تنمل.

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني (١/ ٤٧-٤٨).

٥. معجم اللغة العربيَّة المعاصرة لأحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ).

• حرَّك: وهي المدخل الرئيس، تليه مداخل فرعيَّة: تحرَّكَ يَتحرَّك، تحرُّكًا، فهو مُتحرِّك.

حرَّك: حرك الشخص أو الشيء تحرَّك، خرج عن سكونهِ.

حرَّك: يحرِّك، تحريكًا، فهومحرك، والمفعول محرَّك. حرَّك الشَّيءَ: جعله ذا حركة، أو أخرجه عن سكونهِ

تحرُّك: مصدر تحرَّكَ تحرُّكٌ دبلوماسيٌّ: مبادرة سياسيَّة يُقصد بها إزالة خلاف بين دول ما.

محرك: محرك كهربيٌّ: موتور، مكنة لتحويل الطاقة الكهربيَّة إلىٰ طاقة ميكانيكيَّة، وعمله عكس عمل الدينامو[١].

ويلحظُ ههنا ثراء حقل الحركة في مجاليه الدِّلاليِّ[٢] والاشتقاقيِّ[٣]، والجديد المستحدث مقارنة بالقواميس المذكورة سابقًا، هو الرصيد اللغويُّ المكون للحقل المعجميِّ «محرك»[٤]،

---

(١) معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، أحمد عمر مختار، (ص٤٧٩-٤٨١).

(٢) الحقل الدِّلاليّ: الدَّال واحد والمداليل متعددة، تربط بينها علاقات دلاليَّة تكون قائمة علىٰ المجاز، مثل: ١. حرَّك الشيء: جعله ذا حركة، ٢. حرَّك الشهوات: أثارها. نمثل له بالشكل التالي: لفظ١ = {معنىٰ ١، معنىٰ ٢، معنىٰ٣... معنىٰ ن}. ومثالهُ من اللغة العامة الحقل الدِّلاليِّ للدَّال **عين:** {الباصرة، منبع الماء، الجاسوس، حرف العين، قرص الشمس، الحسد، النَّقد...}.

(٣) الحقل الاشتقاقيّ: هو الحقل الصرفيُّ المتولد عن جذع أول منحدر عن جذر عربيٍّ، مثل: حرَّك (ح.ر.ك): {تحرَّك، متحرك، تحريك....}.

(٤) الحقل المعجميّ: موضوع أو شيء يتضمن عدة أجزاء أو عناصر أوأصناف، مثل: مُحَرِّك: {محرك كهربائيّ، محرك السيارة، المحرك النفاث، محرك بخاريّ، المحرك الدورانيّ...}. شكلهُ: شيئ، موضوع، فكرة= {لفظ١، لفظ٢، لفظ٣...لفظ ن} ومثالهُ من اللغة العامة الحقل المعجميّ **للقرابة:** { أب، أمٌّ، جدّ، جدَّة، أخ، أخت، عم، خال...}.

فيذكر أحمد مختار عمر المعنىٰ الوضعيَّ بداية، وهو المعنىٰ القاعديُّ، ثم المعنىٰ النقليّ ثانيًا، مع التَّدعيم بالأمثلة الموضحة والسياقات التي تفسر المعنىٰ المقصود، ويورد المعاني المجازيَّة بكثرة ضمن سياقات دقيقة تبيَّن المعنىٰ المنقول. وقد اختلف ماقدَّمه أحمد مختار عمر عمَّا قدَّمه الجرجانيُّ من تحليلٍ ذهنيٍّ لأفعال الحركة.

وسأقدِّمُ تعريفًا للعلوم العرفانيَّة، ومن ثم أبرز كيف استثمرت اللسانيات نتائج البحث العلميِّ الحديث.

***

المبحثُ الثاني: اللسانيات العرفانيَّة

ظهرت اللسانيات العرفانيَّة في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، مع تطور في العلوم اللغويَّة وتقاطعها مع علوم أخرىٰ، كالفلسفة، وعلم النفس، وعلم الأعصاب، دراسات حديثة تركز علىٰ الذِّهن، ودورهُ في إنتاج العبارات اللغويَّة، أي كيف ننتج الكلمات؟ ما طبيعة أدمغتنا؟ كيف نفسر الأحداث والوقائع؟ ما دور الفضاءات الخارجيَّة في نسقنا اللغويِّ؟ هل الإيدلوجيات[1] لها دور في تكوين العبارات وصياغتها؟

وقد سعىٰ العرفانيون إلىٰ الإجابة عن كلِّ هذه الأسئلة، محاولين دراسة الذِّهن البشريِّ دراسة علميَّة، بعد أن ظلت مركزيَّةَ التركيب مسيطرة علىٰ الدِّراسات اللغويَّة، فظهرت حول العرفانيات أبحاث وكتب، وكان من أبرز أعلامها عدد من طلبة تشومسكي[2] أنفسهم، الذين

(١) مفهوم حديث، يطلق عليه مصطلح (إيديولوجيا) وهو دخيل علىٰ جميع اللغات الحيَّة، فنقول إنَّ الحزب الفلانيَّ يحمل ألوجة ونعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف. انظر: مفهوم الإيديولوجيا، عبد الله العرويّ، (ص٩).

(٢) تشومسكي، عالم لغويات معاصر، صاحب نظرية النَّحو التوليديِّ.

خرجوا عن التيار التوليديِّ التركيبيِّ، واتجهوا نحو الدِّلالة الذِّهنيَّة وما لها من دورٍ في تفسير علاقة مستعملِ اللغةِ بالكونِ؛ منهم: جاكندوف[1]، وجورج لايكوف[2]، ورونالد لانغاكير[3].

بداية أقدم تعريفًا للعلوم العرفانيَّة، ومن ثم كيف أثر هذا التيار العلميِّ الحديث على اللسانيات.

١. العلوم العرفانيَّة:

العلوم العرفانيَّة[4]: «جملة من العلوم تدرس اشتغال الذِّهن والذَّكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات، تساهم فيها الفلسفة، وعلم النَّفس، والذَّكاء الاصطناعيِّ، وعلوم الأعصاب (علوم الدماغ) واللسانيات، والأنتروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفانيَّة الذَّكاء عامة، والذَّكاء البشري وأرضيته البيولوجيَّة التي تحملهُ، وتُعنى كذلك بمَنْوَلته، وتبحث في تجلياته النَّفسيَّة واللغويَّة والأنتروبولوجيَّة»[5].

٢. اللسانيات العرفانيَّة:

اللسانيات العرفانيَّة: «علمٌ يهتم بدراسةِ اللغةِ في ضوء العمليات الذِّهنيَّة العرفانيَّة، حيث يتضافر فيها الذِّهن والذَّكاء مع العلوم الأخرى، وهي فرعٌ من فروعِ علمِ النَّفسِ المعرفيِّ»[6].

---

(١) من كبار علماء اللغة، تتلمذ على يد تشومسكي، يدير معهد العلوم المعرفيَّة في الولايات المتحدة الأمريكيَّة.

(٢) هو لغويٌّ معرفيٌّ أمريكيٌّ، كان التوجه الأساسي لعمل لايكوف حجة أنَّ الاستعارات هي في المقام الأول البناء المفاهيميّ، بل هي في الواقع مركزيَّة لتطوير الفكر.

(٣) أمريكيٌّ لغويٌّ وأحدُ مؤسسي اللسانيات العرفانيَّة.

(٤) ذكرها الدكتور الأزهر الزَّناد بمصطلح (العرفنيَّة) في كتابه (نظريات لسانيَّة عرفنيَّة)، ولتوحيد المصطلح في كامل الدراسة ارتأيت اعتماد مصطلح العرفانيَّة في كامل البحث نظرًا إلى شيوعه.

(٥) نظريات لسانيَّة عرفنيَّة، الأزهرالزَّناد، ط١، تونس: منشورات الاختلاف، ٢٠١٠م. (ص١٥).

(٦) في اللسانيات العرفانيَّة مقاربة في الاستعارة المفهوميَّة ظاهرة التجسد والتشخيص في حقل=

٣. علمُ النَّفس العرفانيِّ:

ترتبطُ اللسانياتُ العرفانيَّةُ ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بعلم النَّفس الذي وصفه الأزهر الزَّناد بأنَّه قلب العلوم العرفانيَّة، في قوله: «يمثِّل علم النَّفس العرفنيِّ قلب العلوم العرفنيَّة ومحركها علىٰ اختلاف بين الدَّارسين تنظيرًا وعملًا»(١). وتأخذ اللسانياتُ العرفانيَّةُ معظم عباراتها من علوم شتىٰ لإنتاج العبارة اللغويَّة الخاصة بها. ويذكر الزَّناد الخلط بين علم النَّفس وعلم النَّفس العرفانيِّ، فمنهم من يَعدُّهما علمًا واحدًا يضم عدة فروع، وبعضهم يَعدُّ علم النَّفس العرفانيِّ علمًا مستقلًا عن علم النَّفس.

أ/ ظهورعلم النَّفسِ العرفانيِّ:

«اقترن ظهور علم النَّفس العرفنيِّ بما يسمىٰ «الثورة العرفنيَّة» في منتصف ١٩٥٠م، وهي ثورة علىٰ السلوكيَّة وعلىٰ ما سطرَّه واطسون(٢) من تخلٍ مطلقٍ في علم النَّفس عن المنهج الذِّهنيِّ القائم علىٰ الاستبطان أساسًا ومن دعوة إلىٰ العناية بالسلوك الظاهر والاكتفاء به موضوعًا للوصف والملاحظة لرصد مظاهره الماديَّةِ المتواترةِ. وقد كان واطسون في جميع ذلك ساعيًا إلىٰ جعل علم النَّفس قسمًا موضوعيًّا تجريبيًّا خالصًا من علوم الطبيعة»(٣).

ب/ مجال الدِّراسة في علم النَّفس العرفانيِّ:

أجملها الأزهر الزَّناد في نقاطٍ هي: «الإدراك، والانتباه، والذَّاكرة، واللغة، والقصد، والنشاط الفكريُّ واللغويُّ، ومباحث تهم الانفعال والشخصية وغيرها ممَّا له تفاعلٌ مع سائر الملكات العرفانيَّة»(٤).

=المكان نموذجًا، نوال بنت إبراهيم الحلوة، (ص٤).

(١) نظريات لسانيَّة عرفنيَّة، الأزهر الزَّناد، (ص٢٤).

(٢) هو عالم نفس أمريكيّ أسس المدرسة النفسيَّة المعروفة باسم السلوكيَّة.

(٣) نظريات لسانيَّة عرفنيَّة، الأزهر الزَّناد، (ص٢٤).

(٤) المرجع السابق، (ص٢٤) فصل: ماهي الملكات العرفانيَّة؟ الملكة في المعاجم القديمة:=

٤. اهتمامات اللسانيات العرفانيَّة:

رصد صابر حباشة اهتمامات اللسانيات العرفانيَّة في الآتي: «دراسة الأسس العقليَّة للغة التي تفسر نشوء التفكير الذي يتضمن إدراك المفاهيم، والمعنىٰ، ومباحث الاستعارة، وأبواب النحو، وغيرها من الجوانب اللغويَّةِ المتعلقةِ بالتفكيرِ»(١). وتفرَّعَ عن اللسانياتِ العرفانيَّةِ فروعٌ كثيرةٌ منها: النَّحو البنائيّ، والنَّحو العرفانيّ، والاستعارة المفهوميَّة، والمزج المفهوميّ، والإيماءات، والسيميولوجيا، وعلم الأعصاب العرفانيّ، والأنساق الحاسوبيَّة للاستعارة، واكتساب اللغة، والبحوث ذات الصلة بعلم اللغة النَّفسيّ، وعلم الدِّلالة المفهوميّ(٢).

***

الفصلُ الثاني
العلاقاتُ الدِّلاليَّةُ والعرفانيَّةُ

وفيه ثلاثة مباحث:

مدخل:

لاقت الاستعارة اهتمامًا بالغًا من البلاغيين القدماء يونانيين وعرب، وقسَّمها العربُ إلىٰ قسمين أساسيين هما: الاستعارة المكنيَّة، والاستعارة التصريحيَّة، وكلتاهما قائمة علىٰ المجاز الذي ينقسم بدوره إلىٰ لغويٍّ وعقليٍّ، وتندرج الاستعارة تحت المجاز اللغويِّ. وبتطور

=الحذف، وفي المعاجم الحديثة: هي استعداد عقليٌّ خاصٌّ لتناولِ أعمالٍ معينة بحذق ومهارة، وتقسم إلىٰ: الملكة اللغويَّة، الملكة الخطابيَّة، الملكة الموسيقيَّة، الملكة الشعريَّة. والإنسان يمتلك عدد من الملكات بعضها فطريٌّ وبعضها مكتسبٌ.

(١) المشترك الدِّلاليّ في اللغة العربيَّة مقاربة عرفانيَّة معجميَّة، صابر الحباشة، (ص٤٤).

(٢) المرجع السابق، (ص٤٤-٤٥).

النظريَّات والمفاهيم، وتلاقح العلوم واستفادة العلوم اللغويَّة من علوم عدة هي: علم النَّفس، والفلسفة، والذَّكاء الصناعيِّ، والأنثروبولوجيا...إلخ، كما تُسمَّىٰ حديثًا بالدِّراسات البينيَّة، حدث معها تطور مفهوم الاستعارة ووظيفتها، فلم تبقَ مجرد وسيلة بلاغيَّةٍ جماليَّةٍ تحتاج إلىٰ إعمال الذِّهن لتطبيقها علىٰ النُّصوص، بل احتفظت بالوظيفة الجماليَّةِ وتوسَّعَ مجالُها، فأصبحت جزءًا من نسقنا التَّصوريِّ الإدراكيِّ الذِّهنيِّ، وجزءًا من حديثنا اليوميِّ.

***

المبحثُ الأولُ: الاستعارة في الفكر القديم

«عرَّفَ أرسطو (ق٤ ق.م) الاستعارة في الفقرة الحادية والعشرين من كتاب «فن الشعر»[1]: بأنَّها واقعةٌ في الاسم بموجب عمليَّةِ نقلٍ. وهذا التَّصور ساد مبحث الاستعارة إلىٰ فونتانيي[2] (ق ١٩ م). وقديمًا رأىٰ سيسرون (ق١ ق.م)[3] أنَّ الاستعارة عمليَّةُ نقلٍ قوامها تحويل كلمة تدلُّ في الأصل علىٰ فكرة ما، للدَّلالة علىٰ فكرة أخرىٰ عبر علاقة المشابهة، وذلك إمَّا لكون تلك الكلمة أكثر ملاءمة واتساقًا، وإمَّا لافتقار اللغة إلىٰ العبارة ذات الدَّلالة الأصليَّةِ المناسبةِ.

واعتبرها كنتيليان (ق١م)[4] نقل اسم أو فعل من موضع حيث هو مستعمل بمعنىٰ أصليٍّ،

---

(١) «فن الشعر» أثر منسوب إلىٰ أرسطوطاليس، ترجمه من السريانيَّة إلىٰ العربيَّة أبو بشر متَّىٰ في العصر العباسي الأول. وضع له الكنديّ والفارابيّ وابن رشد ملخصات.

(٢) جاك فونتانيي، سيميائيّ فرنسيّ، تعامل مع النَّص الأدبيِّ سيميائيًّا، من مؤلفاته «سيمياء المرئيّ» و«سيميوطيقا التوتر».

(٣) سيسرون: كاتب وخطيب رومانيّ (١٠٦ق.م/ ٦٣م). له كتاب في الفلسفة «الحقيقة والسعادة» وكتاب في «الجمهورية والقوانين».

(٤) كانتيليان (ق١ق.م) الخطيب اللاتيني المولود في إسبانيا، وطبقت شهرته الآفاق.

إلىٰ موضع آخر تغيب فيه الكلمة الأصليَّة، أو حيث تكون الاستعارة أكثر ملاءمة»[1].

وما يمكن ملاحظته أنَّ الاستعارة في الفكر البلاغيِّ القديم قائمة علىٰ المشابهة والنقل وسدِّ الفجوات المعجميَّة. فهل بقي هذا التَّصور؟ أو تطور؟ وإلىٰ أيِّ مدىٰ تغير؟

تجيبنا وسيمة مصموديّ بقولها: «ولئن أحال هذا التوجه نحو توسيع موطن الاستعارة في الخطاب علىٰ شكل من أشكال تطور المبحث البلاغيِّ الاستعاريِّ في الفكر البلاغيِّ الغربيِّ القديم، فإنَّه يبقىٰ تطورًا ضئيلًا لأنَّه لم يخرج عمَّا أرساه أرسطو في مسألة الاستعارة. فكلمتا «نقل»، و«استبدال» تفيدان معنىٰ واحدًا هو المعنىٰ نفسه الذي تفيده اللفظة الدَّالة علىٰ المجاز في اللسان الإغريقيِّ، وهو نقل من... وإلىٰ...»[2].

* * *

المبحثُ الثاني: الاستعارة في الفكر البلاغيِّ العربيِّ القديم

الاستعارة في كتب البلاغيين قائمة علىٰ المشابهة، يعرِّفُها الجرجانيُّ في كتابه أسرار البلاغة بأنَّها: «ضربٌ من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيهُ قياسٌ، والقياسُ يجري فيما تعيهِ القلوبُ وتدركهُ العقولُ، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع والآذان»[3]، ويعرِّفُ أبو هلال العسكريُّ الاستعارةَ في مصنفهِ «كتاب الصناعتين» - وهو مصنف متأخر، وقد استفاد في وضعه من سابقيه- تعريفًا قائمًا علىٰ المشابهة أيضًا بقوله: «ثم إنَّ المجاز أعني الاستعارة من حيث إنَّها من فروع التشبيه كما ستقف عليه، لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم علىٰ اللازم، بل لابد من تقدمة تشبيه شيءٍ بذلك الملزوم له، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه»[4].

---

(١) انظر: المقاربات العرفانيَّة وتحديث الفكر البلاغيِّ، وسيمة مصموديّ، (ص٣٠).

(٢) المقاربات العرفانيَّة وتحديث الفكر البلاغيّ، وسيمة مصموديّ، (ص٣١).

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهرعبد الرحمن الجرجانيّ، (ص٢٠).

(٤) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكرالسَّكاكيّ، (ص٣٣١).

وجاء علىٰ لسان الجرجانيِّ: «واعلم أنَّ الاستعارة لا تدخل في قبيل التَّخييلِ، لأنَّ المستعير لا يقصد إلىٰ إثبات معنىٰ اللفظةِ المستعارة، وإنَّما يعمد إلىٰ إثبات شَبَهٍ هناك»(١).

فعند قولنا: زيدٌ أسدٌ، ليس المقصود من كلام مستعير الصورة هو الإثبات، إنَّما يريد توضيح المعنىٰ المنسيّ، أو المعنىٰ الذي يُفترض أن يكون في ذهن المتلقي وهو القوة والشجاعة. وذكر أبو هلال العسكريُّ في كتاب «الفروق في اللغة» أنَّ الفرقَ بين الاستعارة والتشبيه يتمثل في أنَّ «التشبيه صيغة لم يعبر عنها، واللفظ المستعار قد نقل من أصل إلىٰ فرع فهو معبر عمَّا كان عليه، فالفرق بينهما بَيِّنٌ»(٢). أي أنَّ أسدًا لاتفارق مرجعها الحقيقي بفعل المشابهة، فتلزم أداة التشبيه كلًّا من المشبه والمشبه به بواقعهما مع تقارب (أ) ب (ب) في سمةٍ دلاليَّةٍ مميزةٍ، أمَّا الحدودُ في الاستعارة فهي تتقلصُ، فتصبح (أ) مساوية لـ (ب) دون أن تلتحم به تمامًا، ودون تغيير حقيقيٍّ لواقع المرجعين (الإنسانيَّةِ/ الحيوانيَّةِ).

***

المبحثُ الثالثُ: الاستعارةُ في إطارِ العلومِ العرفانيَّةِ

١. الاستعارةُ في علمِ النَّفسِ المعرفيِّ:

«اهتم علماءُ النَّفس في القرن العشرين بدراسة المجاز انطلاقًا من إشكاليَّة الخلق الدِّلاليِّ، أي قدرة مستعملي اللغة علىٰ إبداع توليفاتٍ لسانيَّةٍ جديدةٍ، وهي توليفاتٌ قد لايكون لها معنىٰ علىٰ الحقيقة. وأثار مجال علم النَّفس أسئلة منها مايتعلق بالأسباب الدافعة إلىٰ خلق العبارات الاستعاريَّة وأسباب بروزها علىٰ سائر أساليب الخطاب، ومنها مايتعلق بآلياتِ إنتاجِ القولِ الاستعاريِّ وفهمه، إذ يعتبر كلٌّ من القول والفهم سلوكًا بشريًّا. فدراسة علم النَّفس للاستعارة

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ. (ص٢٧٣).

(٢) الفروق اللغويَّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ، (ص٣٩).

هي دراسة لنوع من أنواع السلوك البشريِّ. وجميع تلك الأسئلة تتلخصُ في سؤال «كيف نفهم الاستعارة؟» ومنها: ما الحاجة إلىٰ الاستعارة؟ لماذا تبرز الاستعارة في سائر أساليب القول؟ (...) ونظرًا إلىٰ طبيعة هذه المشاغل اعتبر فهم الاستعارة مشكلًا عرفانيًّا يبحث عن العوامل والآليات التي تسهم في إنتاج الاستعارة وفهمها علىٰ السواء»[1].

٢. الاستعارةُ عند جورج لايكوف وجونسون مارك:

أ/ مفهومها: يعدُّ كتابُ «الاستعارات التي نحيا بها» (م Lakoff and Jonson 1980) تطويرًا لمفهوم الاستعارة، ومجالًا لإعادة التفكير والبحث في الاستعارات؛ فارتأيتُ الأخذ بهذه المفاهيم العرفانيَّة وتطبيقها علىٰ أفعال الحركة، ووجدت استجابة من المدونة التراثيَّة متمثلة في مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ لهذه المقاربة. ويكمن جوهر الاستعارة عند لايكوف وجونسون في كونها تتيح فهم شيءٍ ما انطلاقًا من شيءٍ آخر[2].

ب/ أقسامُها: قسَّمَ «لايكوف»، و«جونسون» الاستعارة إلىٰ قسمين:

أ- القسم الأول: تناول الاستعارات الوضعيَّة المتضمنة للاستعارات الاتجاهيَّة الفضائيَّة والاستعارات الأنطولوجيَّة والاستعارات البنيويَّة.

ب- القسم الثاني: خُصصَ لدراسة الاستعاراتِ الإبداعيَّةِ غيرِ الوضعيَّةِ، فكانت مادة الاشتغال هي التركيز علىٰ الحديث اليوميِّ، أي الكلام.

الاستعارة بمفهوم الباحثين استعارات: استعارة وضعيَّة وأخرىٰ غير وضعيَّة:

١- الاستعارة الوضعيَّة: هي استعاراتٌ مستعملةٌ في الكلام اليوميِّ بعيدة عن الإبداع والخيال، حيث تعدُّ بديهيات موجودة ضمن نسقنا التَّصوري الذِّهني، تستعمل بشكلٍ عفويٍّ،

(١) المقاربات العرفانيَّة وتحديث الفكر البلاغيِّ، وسيمة مصموديّ، (ص٥٧-٥٨).

(٢) الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف وجونسون(جورج ومارك)، (ص٢٣).

تفهم ضمن السياق، لا تحتاج إلىٰ إعمالِ الفكرِ. وتتفرعُ الاستعارة الوضعيَّة بدورها - حسب الباحثين - إلىٰ ثلاثةِ فروعٍ:

(أ) الاستعارة الاتجاهيَّة: «هناك مفهومٌ استعاريٌّ من نوع آخر، وهذا المفهوم لا يُبَنْيَن فيه تصورٌ ما عن طريقِ تصورٍ آخر، ولكنَّهُ علىٰ عكس ذلك ينظم نسقًا كاملًا من التَّصورات المتعالقة. هذه الاستعارات الاتجاهيَّة تعطي للتَّصورات توجهًا فضائيًّا، مثل: إنَّني في قمة السعادة، سقطت معنوياتي»[1].

وتقوم الاستعاراتُ الاتجاهيَّةُ علىٰ تفاعلنا مع العالم الخارجيِّ الفيزيائيِّ، وترتبط بنسقنا الإدراكيِّ. فالأحداث التي تعطينا معنىٰ الظروف (فوق، تحت، أمام، خلف) تمنح تصوراتنا توجهًا فضائيًّا في حدود الزمان والمكان.

(ب) الاستعارات الأنطولوجيَّة: تتمُ مقْوَلَة المجرَّدات والأشياء وتجسيدها باعتبارها كيانات، فيُتعاملُ معها علىٰ أساس أنَّها كائنٌ بشريٌّ يحمل صفاتٍ وخصائصَ بشريَّةٍ. يقولُ عبدُالإله سليم «يرىٰ «لايكوف» و«جونسون»، أنَّ هذا النوعَ من الاستعارات ينتجُ من خلالِ تفاعلِ تجاربنا مع الأشياء الفيزيائيَّةِ، وبخاصة أجسادنا، حيث يتم النظر إلىٰ الأفكار المجردة كالعقل والحقيقة مثلًا، والانفعالات باعتبارها أشياء ماديَّةٍ، ممَّا يمنح لنا طرقًا للنظر إلىٰ الأحداث، والأنشطة، والإحساسات انطلاقًا من الأنساق الفيزيائيَّةِ. ويستدلُّ الباحثان علىٰ ذلك بتجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعد استعاريًّا كيانًا نسميه التَّضخم، وبهذا نحصل علىٰ طريقة للإحالة علىٰ هذه التجربة عن طريق تشخيصها»[2]. مثل: يجب محاربة التَّضخمِ، يقلقني التَّضخم كثيرًا[3].

---

(١) الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف وجونسون (جورج ومارك)، (ص٣٣-٤٣).

(٢) بنيات المشابهة في اللغة العربيَّة، عبد الإله سليم. (ص٧٢).

(٣) الأمثلة من كتاب الاستعارات التي نحيا بها، (ص٤٦).

(ج) الاستعارات البنيويَّة: «تتأسسُ الاستعاراتُ البنيويَّةُ علىٰ ترابطاتٍ نسقيَّةٍ داخل تجربتنا، حيث تسمح لنا بإيجاد الوسائل الملائمة لتسليط الضوء علىٰ بعض المظاهر، فتعمل علىٰ إظهار بعض التَّصورات وإخفاء أخرىٰ. إنَّنا عندما نتبنىٰ رأيًا معينًا، نستعملُ كلَّ الوسائلِ المتاحة للدِّفاع عن تصوراتنا: التَّحدي، والتَّهديد، والتَّسلط، والشَّتم، والتَّلميحات...إلخ بمحاولة تقديم حججٍ عقليَّةٍ علىٰ شكلِ أسبابٍ»[1].

٢. الاستعارات غير الوضعيَّة: هي الاستعارات الإبداعيَّة التخييليَّة التي كانت محل اهتمام البلاغيين، تعتمدُ علىٰ المشابهة لخلق عالمين مختلفين وربطهما لخلق صورة متخيلة جديدة. وسنطبق الاستعارات الاتجاهيَّة الفضائيَّة علىٰ أفعال الحركة علىٰ النحو التالي:

* * *

الفصلُ الثالثُ
تطبيقاتٌ على أفعالِ الحركةِ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحثُ الأولُ: تطبيقاتٌ على أفعالِ الحركةِ

١. معنىٰ (فوق) – معنىٰ (تحت).

(أ) – **فحملتهُ** علىٰ الروحِ[2]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (حمل)، الحاء والميم واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ إقلال الشيء. والحَمْل: ماكان في بطن أو علىٰ رأس شجر. والحِمْل: ماكان علىٰ ظهر أو علىٰ رأس[3].

(١) الاستعارات التي نحيا بها، لايكوف وجونسون (جورج ومارك)، (ص٨٢).

(٢) المقامات، أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢٤٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (ص١٠٦).

وتختلفُ دلالتهُ باختلاف مايضاف إليه: نحو حملت الشجرة: أي أثمرت، حملت المرأة: أي حبلت. وغيرها من الدَّلالاتِ المجازيَّةِ. كقولنا فلانٌ يحملُ فكرًا ثوريًا، وأحملُ في عقليِّ أفكارًا إيجابيَّةً، الفلسطينيُّ يحملُ كرامةً لا يتنازل عنها. يتضح لنا من الأمثلة السابقة أنَّ الفعل (حمل) يحيل علىٰ ثقل أو حمولة واتجاه في حيز محددٍ. كقولنا امرأة حامل: +في البطن +ثقل +عياء +حِمل +محسوس +إسناد للعاقل.

حمل الحقد: +في الصدر +حِمل مجرد +إسناد لغير العاقل./ حمل الأفكار: +في العقل +مجرد +ثقل مجازيٍّ +إسناد لغير العاقل.

(ب) – **فطار** الخدم في طلبه[1]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (طار)، الطاء والياء والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ خفةِ الشيءِ في الهواء. ثم استعار الطيران لغير فاعله الحقيقيِّ للدَّلالةِ علىٰ السرعة الفائقة. ويقال لكلِّ من خف: قد طار. ومن الباب قولهم: خذ ماتطاير من شعر رأسك، أي طال[2]. يطير مشتق من الجذر المعتل العين (ط.ي.ر) كقولك طار للسباحة في الهواء[3]، فالحركةُ تتمُّ صعودًا في اتجاه عموديٍّ بسرعة وبخفة إذا أُستعمل علىٰ الوجه الحقيقيِّ، ومجازًا تتم استعارة اللفظ للدَّلالةِ علىٰ العلو أو الانتشار أو الاستجابة السريعة كما في المثال (فطارَ الخدمَ في طلبِهِ).

طار صيتهُ: +انتشار +توسع +إسناد الفعل لغير فاعلهِ الحقيقيِّ.

طار الطائر: +في الجو +طائر +علو وارتفاع +إسناد الفعل لفاعلهِ الحقيقيِّ.

طار من السعادة: +فرح وسرور +مجرد +مع إسناد الفعل لغير فاعلهِ الحقيقيِّ.

---

(١) المقامات، أبو الفضل أحمد بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٨١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٣/ ٤٣٥).

(٣) تفسير الراغب الأصفهانيّ، الراغب الأصفهانيّ (ص٢١٦).

(ج) – فها نحنُ نرتضعُ من الدِّهر ثديَ عقيمٍ، و**نركبُ** من الفقر ظهرَ بهيم[1]: التَّأصيلُ اللغويُّ: الراء والكاف والباء أصلٌ واحدٌ، وهو في معناه النَّقليِّ دالٌّ علىٰ علو شيء شيئًا[2].

نركب: فعلٌ صحيحٌ متولِّدٌ عن الجذر الثلاثيِّ(ر.ك.ب)، والركوب: كون الشيءُ فوقَ شيءٍ آخر، يدلُّ علىٰ حركة عموديَّةٍ، يقال لكلِّ مركوبٍ ركوب، وسميت المطيَّةُ ركابًا، والمركب فيمن ركب فرس غيره[3]. من خلال المثال السابق يظهر أنَّ الفعل ركب يدلُّ علىٰ اتجاه عموديٍّ إلىٰ أعلىٰ، وفيه علو وارتقاء للوصول إلىٰ نقطة معينة كظهرِ الدَّابَّةِ أو فوقَ الطاولة...، لكنَّ المعنىٰ النَّقليِّ المجازيِّ يدلُّ علىٰ معانٍ متعددةٍ تظهر من خلال السياقات المختلفة ففي الأمثلة التالية أُستعمل الفعل (ركب) مجازيًّا للدَّلالة علىٰ معانٍ متعددة منها: الثَّقل، التَّسرع، الزِّيادة.

ركبهُ الدينُ: +ثقل +هم +تراكم/ ركب رأسهُ: +التَّسرع وعدم الروية +عناد/ ركب الشحم بعضهُ بعضًا وتراكب:+ تغير في الحجم +زيادة +تتابع +تمددَّ

(د) – **ارتفعتْ** معها القلوبُ[4]: التَّأصيلُ اللغويُّ: من الجذر الصحيح (ر.ف.ع)، الراء والفاء والعين أصلٌ واحدٌ، يدلُّ علىٰ خلاف الوضع. تقول: رفعت الشيءَ رفعًا؛ وهو خلاف الخفضِ[5]. يذكر العسكريُّ المعنىٰ اللغويَّ للارتفاع بقوله: «والأصلُ في الارتفاع زوال الشيءِ عن موضعهِ إلىٰ فوق، ولهذا يقال ارتفع الشيء بمعنىٰ زال وذهب والعلو لا يقتضي الزَّوال عن أسفل، ولهذا يقال ارتفع الشيء وإن ارتفع قليلًا لأنَّه تحرك وزال عن موضعهِ إلىٰ فوق في حركةٍ

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٠٤).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٢/ ٤٣٢).

(٣) الراغب الأصفهانيّ، تفسير الراغب الأصفهانيّ، (ص٩٤٩).

(٤) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٢٨).

(٥) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٢/ ٤٢٣).

عموديَّةٍ تصاعديَّةٍ»[1]. ويذكر الفرق بين الصعود والارتفاع في أنَّ «الصعود مقصور علىٰ الارتفاع في المكان ولا يستعمل في غيرهِ فيقال: صعد في السلم والدَّرجة ولا يُقال صعد أمرهُ، فالارتفاع والعلو يشترط فيهما جميع ذلك والصعود أيضًا هو الاتجاه إلىٰ فوق فقط، وليس الارتفاع كذلك ألا ترىٰ أنَّه يُقال: ارتفع في المجلس ورفعت مجلسهِ وإن لم يذهب به في علوٍ ولا يقال: أصعدتهُ»[2]. رفع صوتهُ:+صوت +عال +امتداد في الفضاء/ رفع الله قدرهُ: +علو +منزلة عليا +ارتفاع وسمو

ظهر في الأمثلة السابقة وجود سمة الحركة في الفضاء الخارجيِّ ودلالة الاتجاة إلىٰ الأسفل وإلىٰ الأعلىٰ. فمثال: (حملتهُ علىٰ الروح) تعبير مجازيٌّ استعاريٌّ دالٌّ علىٰ الاتجاه إلىٰ أعلىٰ، فالحمل يكون إلىٰ الأعلىٰ. ونتبيَّن الاتجاه إلىٰ فوق في الأمثلة المستخرجة من المدونة (فطار في طلبهِ): غالبًا ما يكون الطيران للطائر المتجه أيضًا إلىٰ الأعلىٰ. ولا يختلف التَّحليلُ في الأفعال الدَّالة علىٰ الحركة المتجهة إلىٰ الأعلىٰ، بقطع النظر عن مدىٰ ارتفاعها نحو الأعلىٰ، ففي مثال: (تركب في ذاك هواك) فإنَّ التَّعبيرَ الاستعاريَّ يظلُّ حاملًا لدلالة الاتجاه نحو الأعلىٰ، أمَّا حركة الارتفاع في المثال: (ارتفعت معها القلوب) (الارتفاع) ففيها تدرج في الحركة من الساكن إلىٰ المتحرك إلىٰ أن يتم الارتفاع. نجد في المقابل أمثلة مستخرجة من المدونة دلَّت علىٰ الاتجاه إلىٰ الأسفل بتعبير استعاريٍّ وليس علىٰ وجه الحقيقة. فأفعال الحركة (نزل، وطرح، وسقط، ووقع) كلُّها دالةٌ علىٰ الانتقال في الفضاء الخارجيِّ، وعلىٰ اتجاه محدد وهو الأسفل الذي يقابل الاتجاه إلىٰ أعلىٰ.

(هـ) – **سقط** ليدهِ وفمهِ[3]: (كناية عن الخوف): التَّأصيلُ اللغويُّ: (سقط)، السين والقاف

(١) الفروق اللغويَّة، أبو هلال الحسن بن سهل العسكريّ، (ص١٨٤).

(٢) المرجع نفسه، (ص١٨٤).

(٣) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٤٢).

والطاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ الوقوع. والساقطة: الرجل اللئيم في حسبهِ، والمرأة السَّقيطةُ: الدَّنيئةُ[1]. من معاني السقوط هو التَّدهور باتجاهٍ سفليٍّ، ويستعمل علىٰ الحقيقة للدَّلالة علىٰ الوقوع نحو الأسفل، ومن المعاني المجازيَّة المستعملة للفعل سقط الانحدار، القبض، التَّورط كما في الأمثلة التالية: سقط في مشكلة:+تورط +أزمة +انحدار / سقط من منزلته: +نزول رتبة + انخفاض

سقط في يدهِ: +إمساك +قبض +حيز محدد/ سقطت من عيني: +انحدار +تحول

(و) – **طرحتني** النوىٰ مطارحها[2]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (طرح) من الجذر (ط.ر.ح)، أصلٌ يدلُّ علىٰ نبذ الشيء وإلقائهِ. يقال: طرح الشيء يطرحهُ طرحًا. ومن ذلك الطرح، وهو المكان البعيد. وطرحت النوىٰ بفلان كلَّ مطرح، إذا نأت به ورمت به[3]. يستعمل الفعل (طرح) حقيقيًّا إن دلَّ علىٰ الإلقاء والترك باتجاه الأسفل إراديًّا، مثل: (طرحت ما أحمل في يدي) بخلاف الفعل سقط الذي يكون معناه لا إراديًّا كسقطت من الدرج، أوسقط القلم من يدي، وقد يكون الطرح مجازيًّا كما في المثال التالي الدَّال علىٰ العرض والمشاركة والتفاعل: طرح سؤاله: +عرض+مشاركة

(ز) – إنَّ ممَّا **نزلَ** بي من إخواني الذين اصطفيتُهم وانتخبتُهم وادخرتُهم للشدائدِ مافيه عظةٌ وعبرةٌ وأدبٌ لمن اعتبرَ[4]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (نزلَ) من الجذر(ن.ز.ل) النون والزاي واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ علىٰ هبوط الشيء ووقوعه. ونزل عن دابته نزولًا، ونزلَ المطرُ من السماءِ نزولًا[5].

(١) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٣/ ٨٦).

(٢) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٩).

(٣) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣/ ٤٥٥).

(٤) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢٤٩).

(٥) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٥/ ٤١٧).

«النزولُ عامٌّ في كلِّ شيءٍ يقال: نزل بالمكان ونزل بهِ الضيف ونزل بهِ المكروهُ»[1]، فيه دلالة علىٰ تغيير الاتجاه من...إلىٰ. «ويقال: نزل بالمكان ونزل من علوٍ إلىٰ أسفل، ونزل في البئر، ونزل عن الدَّابة»[2] لنزول في مثال (نزلَ بي من إخواني): استعمال مجازيٌّ، يعني تَغشْي الهم ونزولهُ علىٰ الجسد، فالنزول هنا كالسقوط أي انحدار في مستوىٰ الحالة النَّفسيَّةِ، فأصبحت روحهُ يائسةً منهزمةً مثقلة بالهم، فهو نزولٌ معنويٌّ.

نزلَ بهِ الخطبُ: +فجأة +صدمة +مجرد/ نزل به الفقر: +تحول +معنويّ +مجرد/ نزل الحاج إلىٰ منىٰ: +انتقال +محسوس/ البركة تنزل من السماء: +من أعلىٰ إلىٰ أسفل +معنويّ +مجرد

(ح) – وهذا المنديلُ سلني عن قصتهِ فهو نسجٌ جرجان، وعملٌ أرجان، **وقع إلي** فاشتريته[3]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (وقع) من الجذر (و.ق.ع)، الواو والقاف والعين أصلٌ يدلُّ علىٰ سقوطِ شيءٍ، وحصولهُ وتحركهُ حركةً وضعيَّةً فضائيَّةً أو مجازيَّةً نقليَّة. يقال: وقع الشيء وقوعًا فهو واقع. والواقعة: القيامة، لأنَّها تقعُ بالخلق فتغشاهم. ومنهُ التوقيعُ: ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منهُ. وتوقعت الشيء: انتظرتهُ متىٰ يقع[4]. ويقال: وقعت به مصيبةٌ أي حلَّت بهِ، وكقولنا: وقعت في ورطةٍ أي سقطت في مشكلةٍ، فالسقوطُ يحمل معنىٰ التَّدهور إلىٰ الأسفل تنازليًّا في حركةٍ سريعةٍ اصتداميَّةٍ.

وقع في مهلكةٍ:+موت وفناء +عدم إرادة/ وقع الجدب: +تحول +يابس +لايوجد حياة

(١) الفروق اللغويَّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ، (ص٣٠٤).

(٢) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشريّ، (٢/ ٢٦٣).

(٣) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٣٧).

(٤) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٦/ ١٣٤).

٢. معنىٰ (أمام) – معنىٰ (وراء).

(أ) – **بسط** يدهِ[١]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (بسط) من الجذر (ب.س.ط) الباء والسين والطاء أصلٌ واحدٌ، وهو امتداد الشيء، في عرض أو غير عرض. فالبساط ما يبسط. والبساط الأرض، ومن بعض المعاني المجازيَّة: (يد فلان بسط): إذا كان مِنفاقا، والبَسطةُ في كلِّ شيءٍ السَّعة، وهو بسيطُ الجسم والباع في العلم. قال الله تعالىٰ: ﴿ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ (البقرة:٢٤٧)[٢]. وذكر الزمخشريُّ في أساس البلاغة بعض الأمثلة المجازيَّة: (وإنَّهُ ليبسطني مابسطك ويقبضني ما قبضك أي يسرني ويطيب نفسي ماسرَّك ويسوءني ماساءك) دلَّ فعلُ الحركة (بسط)، عن الامتداد والرَّاحة، والبساطة من البسيط، فقولنا: (فلان مبسوط) أي: منشرحُ الصدرِ، فاليد المبسوطة هي المنفقة ويقابلها اليد المقبوضة، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ (الإسراء:٢٩).

بسطُ عليهم العذابَ: +نزول +عقوبة +محنة / بسط إلينا يدهِ: +كرم +عطاء/ بسط جناحيهِ: +طيران +علو +ارتفاع +فضاء

(ب) – **يدفعُ** الضعفَ في صدرهِ[٣]: التَّأصيلُ اللغويُّ: جذره (د.ف.ع)، الدَّال والفاء والعين يدلُّ علىٰ تنحية الشيء. يقال: دفعتُ الشيءَ أدفعهُ دفعًا. ودافعَ اللهُ عنهُ السوءَ دفاعًا[٤]. وفي التَّعبير المجازيِّ: وهذه طريق تدفع إلىٰ مكان كذا أي ينتهي إليه. ودفع فلان إلىٰ فلان: انتهىٰ إليهِ[٥].

---

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٥).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (١/ ٢٤٧).

(٣) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٦).

(٤) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (١/ ٢٨٨).

(٥) انظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشريّ، (ص٢٩٠).

وكقولنا: (أدافعُ عن رأيي)، (أدافعُ عن أفكاري) +مجرد +عقليّ +إصرار

(أدافعُ عن اللاجئين في سوريا) +مساندة +مجرد/ (مشاعري تندفع بقوة نحو فلان، لاأستطيع كبحَها) +قوة +انجراف +عاطفة +اتجاه محدد

ويلحظ أنَّ الفعلَ (دفع) يعطينا معنىٰ التتابع في الفضاء المكانيِّ حتىٰ الانتهاء عند نقطةٍ معينةٍ مثل: قمت بحلِّ الأسئلةِ دفعة واحدة في تتابع حتىٰ الانتهاء منها، وهو يفيد معنىٰ القوة أي: أنَّ الدفعَ فيه قوة، كقولك: دفع الأعداء، ادفع اللصَّ عن طريقي، فالفعلُ (دفع) يقومُ علىٰ قوةٍ مندفعةٍ باتجاهٍ ما.

(د) – **مددتُ** يدَ البدار[1]: التَّأصيلُ اللغويُّ: (مدَّ) جذرهُ مضعف (م.د.د)، وهو أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ جر شيءٍ في طولٍ، واتصال شيءٍ بشيءٍ في استطالة. ومدُّ النهار: ارتفاعه إذا امتدَّ. والمِدادُ: ما يكتب بهِ، لأنَّهُ يمدُّ بالماء. ومن المدِّ من المكاييل، لأنَّهُ يمدُّ المكيل بالمكيل مثلهُ[2]. وفي المجاز قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة:١٥) أي: في لهوهم وإنكارهم، (مدَّ) هنا بمعنىٰ امتداد للوقت ومهلة للمشركين. وكقولنا: الحسن البصريُّ سنواتهُ مديدةٌ وعامرةٌ بالعطاء. ويخرج الفعل (مدّ) عن الحقيقة إلىٰ الاستطالة في الفضاء مع تعدد المعاني حسب السِّياق، مددتُ يد المعونة للاجئين. والامتدادُ نهائيٌّ عند العطايا، ولا نهائيٌّ مثل: مدُّ البصر.

بسطَ ومدَّ ودفعَ: هذه الأفعال استعملت مجازيًّا مع وجودِ سمةِ الاتجاهِ إلىٰ الأمامِ، وقد يشتركُ الفعلان (مدَّ، وبسطَ) في دلالتهما علىٰ الامتداد في الفضاء ويختلف هذا الامتداد بنوعيَّةِ السِّياقِ الذي يردُ فيهِ الفعلُ؛لأنَّ تفاعلَنا مع العالمِ الخارجيِّ ثابتٌ ومستمرٌ مع عبارتنا اللغويَّةِ.

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٧٢).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٥/ ٢٦٩).

٣. معنىٰ (داخل) – معنىٰ (خارج).

(أ) – فسمعتُ من الكلامِ مافتقَ السَّمعَ ووصلَ إلىٰ القلبِ[١]: (وصل) جذره (و.ص.ل) الواو والصاد واللام: أصلٌ يدلُّ علىٰ ضمِ شيءٍ إلىٰ شيءٍحتىٰ يعْلَقَهُ. والوصل: ضد الهجران. والواصلة في الحديث: التي تصل شعرها بشعرٍ آخر زورًا[٢].

كلُّ هذه المعاني جاءت علىٰ وجهِ الحقيقةِ فالوصلُ معناهُ ربط شيءٍ وضمهِ والتحامهِ. ومن معانيهِ صلةُ الرحم أي مواصلة الأهل والأقارب، والبر بهم لأنَّهم في دائرةٍ واحدةٍ وهي القرابةُ فالوصلُ والزيارةُ واجبةٌ، كما جاء في حديثِ الرسولِ ﷺ: (إنَّ الرحمَ شجنةٌ من الرحمن، فقال اللهُ: من وصلك وصلتهُ، ومن قطعك قطعتهُ)[٣] وقد يخرج معنىٰ الوصل من الحقيقة إلىٰ المجاز كما في المثال (وصل إلىٰ القلب)، حيث إنَّ الكلامَ المستحسنَ وصلَ إلىٰ القلبِ وانتهىٰ إليهِ أي استحسنهُ.

وصلَ إلىٰ القلبِ: +اتجاه محدد +مجاز +مسار معين

والهجر أو القطع ضد الوصل، أي أنَّ الفعلَ (وصلَ) قد يعطينا معنىٰ الامتداد في مسارٍ واحدٍ دونَ انقطاعٍ كقولنا: وصلَ زيدٌ من جدةَ إلىٰ الرياضِ. فالفعلُ يأخذ معنىٰ الجهيَّة عن الحقيقة، ومجازيًّا: (وصلتني مشاعرُكَ أقدرُ محبتَك. يدلُّ الفعلُ (وصلَ) فضائيًّا عن مسارٍ باتجاهٍ معين بدون انقطاع، كما يدلُّ علىٰ الوصول إلىٰ نقطةٍ معينةٍ محددةٍ منتهيةٍ أي الوصول والانتهاء، ويُؤول معنىٰ الفعل بحسب السياق وبحسب تصوراتنا ونشاطاتنا الإدراكيَّة. ومن ذلك أنَّ دلالةَ الفعلِ (وصلَ) في المثال: (وصلَ إلىٰ القلب). ليست دلالة وضعيَّةً عرفيَّةً معبرة عن الحركة في

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢٤٣).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٦/ ١١٥).

(٣) صحيح البخاريّ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ، (٨/ ٦).

الفضاء الماديِّ بل هي تعبير مجازيٍّ دلَّ دلالةً نقليَّةً عقليَّةً مبررة عن الوصول إلىٰ نقطةٍ معينةٍ محدودةٍ منتهيةٍ غير ماديَّة وغير مجسدة بمعنىٰ وصلَ وانتهىٰ.

(ب) – قد **ذهبَ** جاهي ونفدَت صحاحي. وقلَّ مراحي. وسلحت في راحي. ورفضني الندماء والإخوان القدماء[1]: فعلٌ متولِّدٌ عن الجذر الصحيح (ذ.هـ.ب)، ذهاب الشيء: مضيهُ[2]. كقولك: ذهبت إلىٰ المكتبة، فالفعل (ذهب) دلَّ علىٰ اتجاهِ حركةِ محمدٍ من نقطة (أ) وهي نقطةُ تواجدٍ أو سكنِ محمدٍ إلىٰ نقطة (ب) وهي المكتبة نقطة الوصول باتجاه عموديٍّ، لكن في المثال السَّابق أُستعمل الفعل (ذهب) مجازيًّا للدَّلالةِ علىٰ زوال المال والمكانة بلفظِ الجاهِ الدَّالِ علىٰ المنزلة والقدر.

ومن استعمالاتهِ المجازيَّةِ: فلانٌ يذهب إلىٰ قول أبي حنيفة أي يأخذ بهِ[3]. فهو يدلُّ علىٰ الاتجاهِ الفكريِّ المجرد. وذهب فؤادي في حب مدينة الرَّسول ﷺ، وذهب عمره تفانيًّا في خدمةِ العلمِ.

٤. معنىٰ (عميق) – معنىٰ (سطحيّ).

(أ) – **تغلي** بصدرِ الغيظِ[4]: (غ.ل.ي) العين واللام والحرف المعتل «ي» أصلٌ صحيحٌ يدلُّ علىٰ ارتفاعٍ ومجاوزةِ قدرٍ[5]. غلىٰ يغلي، واسم المفعول مغليّ. غلت القدر ونحوها: سخنت وفارت بفعل الحرارة. غلىٰ الشخص: اشتدَّ غيظهُ «بات يغلي من تصرفات جارهِ السيئةِ»، غلىٰ الدم في عروقه: غضب وثار. غلىٰ الماء ونحوه: زادت سخونتهُ حتىٰ وصل إلىٰ درجة الغليان،

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢٥٢).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٢/ ٣٦٢).

(٣) انظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود الزمخشريُّ، (ص٣١٩).

(٤) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٨٩).

(٥) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٤/ ٣٨٧).

قال تعالىٰ: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ (الدخان:٤٥)[١].

معنىٰ الغليان هو الفوران والاضطراب، فالفعل (غلىٰ) دلَّ علىٰ اضطرابٍ وحركةٍ في فضاءٍ مغلقٍ كالصدرِ، والقدرِ وغيرهِ...

غلىٰ: +حركة +اضطراب +عميق +حيز ضيق +ارتباط في تصوراتنا بالوسط السائل + مجاوزة الحدِّ. ومن معاني الغلوِ الزِّيادة، كما يفهم من الأمثلة التالية: غلىٰ الدم في عروقي، غلىٰ الماء. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ (النساء:١٧١)، إذن الغلو والغليان فيه مجاوزة للحدِّ، وإن كان الفعل (غلىٰ) يحمل سمات تدلُّ علىٰ الجهية، وهو في الداخل (عميق).

يظهر في الأمثلة السابقة أنَّ (غلىٰ) يحمل علىٰ الحركيَّة التي تتولَّدُ فيه من العمق والثورة والهيجان والغليان.

(ب) – **تفتق** للحيلة بنانه[٢]: الجذر (ف.ت.ق) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ علىٰ فتح في شيءٍ. فالحركة محدودة في الفضاءين المكانيِّ والزمانيِّ، من ذلك: فتقت الشيء فتقًا[٣]. «فتق الثوب: شقَّه. قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ (الأنبياء:٣٠)»، وفتقَ السماء يكون بالمطر والأرض بالنبات. فتق الأرض حرثها.

ومجازًا: «فتق العلم ذهنه: حرَّكهُ وأخصبهُ»[٤]. كلُّ المعاني دلَّت علىٰ العمق والقوة. ومنه قولنا: تفتقت لنا أبواب الصعاب: +فتح +صعوبة +عسر +إصرار/ وتفتق الصباح أي تفتح وأشرقت الأرض: +إشراق +ظلمة إلىٰ نور

(١) معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، أحمد عمر مختار، (٢/ ١٦٣٩).

(٢) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٠).

(٣) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٤/ ٤٧١).

(٤) معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، أحمد عمر مختار، (٣/ ١٦٦٨).

وبعد عرض الأمثلة المتصلة بمعنىٰ (فتق) يلاحظ أنَّ الحدث (فتق) قد يعبر عن المعنىٰ الفيزيائيِّ وهو الشَّق وفيه القوة والعمق والشِّدة فالفتق لايكون فيه سهولة ففتق الثوب مثلًا لايكون ببطء بل ينزع وبقوة هذا إن استعمل علىٰ وجه الحقيقة، في المقابل إن أُستعمل مجازًا دلَّ علىٰ المعنىٰ الذهنيِّ للفتق وهو التفكير الحركة العمليات التي تحدث في الذِّهن، كما في المثالين: فتق للحيلة لسانهُ، وفتق العلم ذهنهُ.

(ج) – **فغاصَ** في هامته[1]: (غ.و.ص) جذر معتل العين، أجوف واويٌّ يدلُّ عن الهجوم علىٰ أمر متسفل، من ذلك الغوص: الدخول تحت الماء. والهاجم علىٰ الشيء غائص. وغاصَ في العلم الغامض حتىٰ استنبطهُ[2]. قيل: (غَاصَ) علىٰ المعاني كأنَّه بلغ أقصاها حتىٰ استخرج مابعُد منها[3]. كقولنا: أنا أغوص في بحر من المشاكل ولا أستطيع الخروج منها. غاص في بحر العلم: +عمق +مرتبط في تصوراتنا +وسط سائل (مجازًا) +إلىٰ أسفل

نرىٰ في الأمثلة السابقة تقارب في المعنىٰ حول الفعل (غاص) فالمعنىٰ العام المشترك هو الوقوع والسقوط نحو الأسفل وبعمق، والمعنىٰ الحقيقيُّ مرتبط بالوسط السائل وهو الغوص في الماء، ومجازًا الدخول إلىٰ أسفل وبعمق.

(د) – **أفتش** جيوب البلد[4]: (ف.ت.ش) جذرٌ صحيحٌ يحملُ في معناه العام المطلق البحث عن الشيء؛ والبحث والحدث صنف من أصناف الحركة. تقول: فتشت فتشًا، وفتشت تفتيشًا[5]. يستعمل بدلالة وضعيَّة حقيقيَّة تحمل معنىٰ البحث عن الشيء المفقود أو الوصول إلىٰ نتيجة،

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢٣٣).

(٢) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٤/ ٤٠٢).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيِّ، أحمد محمد الفيوميّ، (٢/ ٤٥٧).

(٤) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢٢٥).

(٥) مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (٤/ ٤٧١).

وأخرىٰ نقليَّة كما في المثال للدِّلالة علىٰ التَّنقيبِ والبحثِ في مداخل البلد، ومن أمثلته المجازيَّة:

بالله فتش عن فؤادي هل يرىٰ... فيه لغير الهوىٰ الأحبة موضع[1]. يتضح هنا معنىٰ فتّشَ الدَّالة علىٰ البحث والتنقيب داخل الفؤاد بعمق للوصول إلىٰ موضع المحبين.

فتش: +بحث +عمق +اكتشاف

***

المبحثُ الثاني: وسائلُ تحقيق الحركة (الجوارح، عناصر الطبيعة، الآلات...)

(١) الجوارح: (أ) **اليد:** (١) – **أخذ** أصناف الفواكه[2]. (٢) – أمَّا والله **لتحملن** علىٰ هذه العيدان[3]. (٣) – **حدرت** لثامه[4]. (٤) – والقوس في يدهِ **يرشقُ** بها الظهور[5]. (٥) – **يسحب** الذيل والملائكة ترفعهُ[6].(٦) – **ضرب** بيمينه[7].(ب) **الأرجل:** (١) – و**مشينا** غير بعيد[8]. (٢) – **مضيت** إلىٰ السُّوق[9].(٣) – و**أسرعت** في الذَّهابِ[10]. (ج) الفم: (أو الفم والأسنان) (أو الفم والشفتان)

---

(١) شرح لامية العجم، كمال الدين محمد أبو البقاء الشافعيّ، (١/ ١٠).

(٢) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص١٦).

(٣) المرجع السابق، (ص٦٤).

(٤) المرجع السابق ، (ص٨٨).

(٥) المرجع السابق، (ص٤١).

(٦) المرجع السابق، (ص٦٠).

(٧) المرجع السابق، (ص٥٩).

(٨) المرجع السابق، (ص ٧٠).

(٩) المرجع السابق، (ص٢٢).

(١٠) المرجع السابق، (ص١٣٦).

(١) - **ينفخُ** في البوق[١]. (٢) - ومن **عضَّ** ومن شدَّ[٢]. (٣) - **نرتضع** من الدهر[٣]. (د) **العين:**

(١) - **اغتمض** جفن الليل[٤]. (هـ) **اللسان:** - **نتجاذب** أذيال المذاكرة[٥]. (٢) **الجسد:**

(١) - **أزحم** هذا وأدفع عن ذاك[٦]. (٢) - **أتقلىٰ** علىٰ جمر الغيظ و**أتقلب**[٧]. (٣) **الحيوان:**

- (**يسبحان** بي سبحا)[٨]. (الناقة). (٤) **الطبيعة:** (١) - يسير والنجوم **تتبعه**[٩].

(٢) - **انحطَّ** الشراع[١٠]. (٣) - **برز** جيش المصباح[١١]. (٤) - **فغاص** في هامته[١٢]. (الحجر).

(٥) **جمادات** - **خاط** علىٰ الصدر[١٣]. **(آلة)**

* * *

(١) المقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، (ص٢١١).

(٢) المرجع السابق، (ص٢١٣).

(٣) المرجع السابق، (ص٩١).

(٤) المرجع السابق، (ص٢٩).

(٥) المرجع السابق، (ص٤٢٤).

(٦) المرجع السابق، (ص٨٥).

(٧) المرجع السابق، (ص٥٨).

(٨) المرجع السابق، (ص٧٤).

(٩) المرجع السابق، (ص٦٠).

(١٠) المرجع السابق، (ص٣٣٦).

(١١) المرجع السابق، (ص٢٢).

(١٢) المرجع السابق، (ص١٣٧).

(١٣) المرجع السابق، (ص٢١٣).

المبحثُ الثالثُ: الهجر والشيوع في أفعال الحركة بين مدونتي «العربيَّة المعاصرة»، و«المقامات»

بالرجوع إلىٰ قاموس المعجم الوسيط تبيَّن أنَّ جميع الأفعال الدَّالة علىٰ الحركة التي ذكرت في المقامات في القرن ٤هـ/ ١٠م، كرفع وهبط ونزل وغيرها... مازالت تستعمل إلىٰ الآن، وذلك بعد مطابقة كلِّ الأفعال والتَّأكدِ من استعمالها، فهي لم تُهجر ولم تُصب بالبلىٰ أو الموت.

كما في الجدول أدناه:

أفعال الحركة في مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ	أفعال الحركة في المعجم الوسيط (*)
نركب من الفقر ظهر البهيم	**ركب** الشحم بعضه بعضًا
بسط يده	**بسط** كفه
ذهب جاهي	**ذهب** مذهب فلان
وصل إلىٰ القلب	**وصل** حيله بفلان
وقع إليَّ فاشتريته	**وقع** القول
نزل بي من إخواني الذين اصطفيتهم	**نزل** فلان عن الأمر والحق
سقط ليده وفمه	**سقط** الجنين من بطن أمه
ارتفعت معها القلوب	هذا أمر **يرفع** الرأس
تفتق للحيلة لسانه	**فتق** الكلام
مددتُ يد البدار	**مدَّ** فلان في سيره

ويذكرُ أحمد بريسول عدة نقاط حول أهمية دراسة أفعال الحركة منها:

«١- تُعدُّ الأفعال التي تدلُّ علىٰ كيفية تحركنا في الزمان والفضاء أساسية في اللغة.

٢- الأفعال التي تدلُّ علىٰ هذه المظاهر الأساسية لسلوك الإنسان تكون أيضًا مشتركة في استعارات متواضع عليها»(١).

(*) هذه الأفعال سبق وأن أحلت عليها ضمن البحث وأثرت عدم ذكرها للإطالة، والأفعال المذكورة في المعجم الوسيط بحسب الترتيب الألفبائيِّ.

(١) انظر: أحمد برسيول، دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد، (ص٩).

الخاتمةُ

لستُ أزعمُ أنَّ بحثي هذا قد استوفى جميع جوانبه من الدِّراسة دون نقص أو خلل، ولكنَّي اجتهدت ما استطعت، وتوصلت إلىٰ بعض الاستنتاجات، ولا شك أنَّ كثيرًا منها مازال ينتظر مني متابعةً وبحثًا وسأثريه بالاطلاع علىٰ ما تمكننا به اللسانيات العرفانيَّة من قضايا نظريَّة ستبوح لي لا شك بجوانب كثيرة من أسرار أفعال الحركة خفيت عني في هذه المحاولة البحثيَّة الأولىٰ.

نتائجُ البحثِ:

توصلتُ في نهاية البحث إلىٰ مجموعة من النتائج، ألخصها في النقاط التالية:

- تتميز بعض أفعال الحركة بخاصيَّة الجهية، أعلىٰ: حملته علىٰ الروح، أسفل: طرحتني النوىٰ مطارحها، أمام: يدفع الضعف في صدره.

- المقاربة العرفانيَّة تمكن الباحث من النظر إلىٰ أفعال الحركة من جانب آخر، ومعالجتها بأدوات حديثة، مثل: (فطار الخدم في طلبه) نقل من ميدان الارتفاع الحسيِّ إلىٰ الميدان المجرد، تفهم من خلال الإسقاط الاستعاريِّ لخطاطة المسار، وبذلك نستطيع أن نفهم الغايات المجردة عن طريق المسار الفيزيائيِّ، طار من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل.

- معجم ألفاظ الحركة يحيل علىٰ الفضاء الذي ننجز فيه الأفعال الدَّالة علىٰ الحركة.

- جزءٌ من نسقنا التَّصوري الإدراكي استعاريٍّ، لذلك جاءت أفعال الحركة في المدونة مستعملة علىٰ وجه الحقيقة أو المجاز.

- إمكانيَّة تطبيق النظريات الحديثة علىٰ المدونات التراثيَّة، حيث تمثل ذلك في تطبيق النظريَّة العرفانيَّة علىٰ مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ.

- لقد قمت بتطبيق مفهوم واحد من المفاهيم العرفانيَّة (الاستعارات الاتجاهيَّة الفضائيَّة)، علىٰ الأفعال التي دلَّت علىٰ الجهية.

- بعد مطابقة كلِّ الأفعال والتَّأكدِ من استعمالها، فلم يمسها الهجر بل ظلَّت مستعمله إلىٰ يومنا. فأفعال الحركة التي تدلُّ علىٰ كيفية تحركنا في الزمن والفضاء أساسيَّة في حياتنا، وفي اللغة.

التوصياتُ:

- مجال اللسانيات العرفانيَّة مجالٌ واسعٌ جدًا، ممتعٌ وشاقٌّ في نفس الوقت ونظرًا إلىٰ أنَّه لم يسعفني الوقت لتطبيق جميع المقاربات العرفانيَّة علىٰ المدونة، كالخطاطات والمزج بين فضاءين وغيرها... فإنَّي أضع بين أيديكم أنموذجًا واحدًا وهو تطبيق إحدىٰ هذه المقاربات علىٰ أفعال الحركة بالمدونة.

- التطبيقات علىٰ النُّصوص القديمة في مجال اللسانيات العرفانيَّة قليلة، فقد تكون هذه الخطوة الأولىٰ خير معين لي علىٰ مواصلة البحث والتحليل والدراسة للنُّصوص التراثيَّة بمناهج حديثة تخدم اللغة العربيَّة، خاصة لما وجدته من ثراء في المقامات ومن استجابة النَّص القديم لآخر النظريات اللسانيَّة الحديثة.

- المدونة التي جمعتها من مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ ثريَّة جدًا، ولا تقل عنها النُّصوص العربيَّة الأخرىٰ ثراء، لذلك فإنَّني أوصي بالتطبيق علىٰ تراثنا الذي لا ينضب ولم يُشبع بحثًا.

***

فهرس المصادر والمراجع

(١) أساس البلاغة. الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٨م.

(٢) الاستعارات التي نحيا بها. جورج لايكوف ومارك جونسون. ترجمة: عبد المجيد جحفة، ط٢، المغرب: دار توبقال، ٢٠٠٩م.

(٣) أسرار البلاغة. الجرجانيّ، عبد القاهر. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، د.ط، مطبعة المدنيِّ بالقاهرة: مطبعة المدنيِّ، د.ت.

(٤) مفهوم الإيديولوجيا. العروي، عبد الله. ط٨، المغرب: المركز الثقافيّ العربيّ، ٢٠١٢م.

(٥) بنيات المشابهة في اللغة العربيَّة. سليم، عبد الإله. ط١، المغرب: دار توبقال للنشر، ٢٠٠١م.

(٦) التعريفات. الجرجانيّ، علي بن محمد الشريف. تحقيق: محمد باسل، بيروت: دار دار الكتب العلميَّة، د.ت.

(٧) تفسير الراغب الأصفهانيّ. الأصفهانيّ، الراغب أبو القاسم الحسين. تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، ط١، كلية الآداب: جامعة طنطا، ١٩٩٩م.

(٨) الخصائص. ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصليّ. ط٤، مصر: الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، د.ت.

(٩) دلالة أفعال الحركة في إطار المعجم المولد، بريسول، أحمد. ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٣م.

(١٠) شرح لامية العجم. الشافعيّ، كمال الدين محمد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدميريّ أبو البقاء. تحقيق: جميل عبد الله عويضة، د.ط، د.م: د.ن، ٢٠٠٨م.

(١١) صحيح البخاريِّ. البخاريّ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ط١، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(١٢) العين. الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. ترتيب ومراجعة: داود سلوم، وداود العنبكيّ، وإنعام داود سلوم، ط١، لبنان: مكتبة لبنان، ٢٠٠٤م.

(١٣) الفروق اللغويَّة. العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. تحقيق: إبراهيم سليم، د.ط، مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.

(١٤) في اللسانيات العرفانيَّة، مقاربة في الاستعارة المفهوميَّة ظاهرة التجسد والتشخيص في حقل المكان نموذجًا. الحلوة، نوال بنت إبراهيم. جامعة الأميرة نورة كلية الآداب، ٢٠١٣م.

(١٥) المخصص. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. د.ط، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٨م.

(١٦) المشترك الدِّلاليِّ في اللغة العربيَّة مقاربة عرفانيَّة معجميَّة. الحباشة، صابر. ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٥م.

(١٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيِّ. الفيوميّ، أحمد بن محمد. د.ط، بيروت: المكتبة العلميَّة، د.ت.

(١٨) معجم اللغة العربيَّة المعاصرة. مختار، أحمد عمر. ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

(١٩) المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفىٰ، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار. ط٢، تركيا: المكتبة الإسلاميَّة، ١٩٧٢م.

(٢٠) مفتاح العلوم. السكاكيّ، يوسف بن أبي بكر. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. ط٢، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٧م.

(٢١) المقاربات العرفانيَّة وتحديث الفكر البلاغيِّ. مصمودي، وسيمة نجاح. ط١، عمَّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.

(٢٢) المقامات. الهمذانيّ، أحمد بن الحسين بديع الزمان. تحقيق: سحبان أحمد مروه، ط٢، بيروت: المكتبة الأزهريَّة، ١٩٢٣م.

(٢٣) مقاييس اللغة. القزوينيّ، أحمد بن فارس. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.

(٢٤) نظريات لسانيَّة عرفانيَّة. الزناد، الأزهر. ط١، تونس: منشورات الاختلاف، ٢٠١٠م.

***